الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي

- دراسة مضمونية -

إعداد:

- ذوبحان حبيبة
- شرف حنان

إشراف الأستاذ:

✓ الدكتور فايد محمد

لجنة المناقشة

أ.د هدروق لخضر	المركز الجامعي تيسمسيلت	رئيســـــــا
أ.د بن بغداد أحمد	المركز الجامعي تيسمسيلت	مناقـــــشا
أ.د. فايد محمد	المركز الجامعي تيسمسيلت	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 1439/1438هـ- 2018/2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ
ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾

سورة العلق: الآية [1-5]

﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ
رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩ ﴾

سورة الزمر: الآية [09]

شكر وتقدير وإهداء

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على نعمه التي لا تحصى وآلائه التي لا تعد.

وأصلّي وأسلم على سيد الأنبياء والمرسلين سيّدنا ومولانا "محمد بن عبد الله "عليه أفضل الصّلاة وأزكى التسليم وعلى أصحابه أجمعين.

تعودنا أن نكون دوما ممن لا ينسوا الجميل ولا يعجزون عن الاعتراف بذوي الفضل إتّباعا لقوله صلّى الله عليه وسلّم{من لم يشكر النّاس لم يشكر الله }

ومن هذا المنطلق نتقدم بالشكر والعرفان إلى الّذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى أساتذتنا الكرام دون استثناء من الابتدائي إلى الجامعي الذين كانوا حافزا لنا على مواصلة المشوار، إلى من زرعوا التفاؤل في دربنا ولم يبخلوا علينا بمساعدتهم وتوجيهاتهم: بولعشار، فتح الله، دردار، مارسي، عطار، تواتي، خلف الله، بلمصابيح، بلميهوب، طعام، بوركبة، بكاي، شرف.

ونقول لهم أنتم مداد عقولنا وأفكارنا فلكم منا أسمى معاني الإجلال والتقدير.

ونتقدم بجزيل الشكر الأستاذ الفاضل **فايد محمد** الذي قبِل تأطيرنا ومنحنا الثقة، والذي لم يبخل علينا بوقته وجهده طيلة فترة البحث بتوجيهاته القيمة وإرشاداته المنهجية التي أتاحت لنا السير على المنهج السليم، فكان له جميل الأثر في ظهور هذا البحث إلى النور، ونسأل الله عز وجل أن يجزيه خير جزاء.

كما نشكر كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها كل باسمه، وإلى

جميع مدراء وموظفي الإدارة

وعمال المكتبة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من عناء في قراءة هذا البحث وتقويمه وتقييمه.

مقدمة

مقدمـــــــة

إنَّ الحمد لمن بيده زمام الأمور، يصرفها كيف يشاء، وإذا ما أراد أمرا يقول له كن فيكون سبحانه تعالى تقدّست أسماؤه وجلَّت صفاته والصّلاة والسلام على الرّسول الصّادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الميامين، وبعد:

الشِّعر من أكثر الفنون العربية الّتي طغت على الفترة التي سبقت الإسلام، والتي أُطلق عليها لفظة الجاهلي، الّذي ضمَّنت فيه العرب كل شاردة وواردة عن حياتهم ونمط معيشتهم، ومنه كان المصدر الوحيد الّذي يُمكن لنا من خلاله أن نتعرّف على تلك الأجواء وعلى عربها محاولين بذلك استنباط أهم ما ميز تلك الفترة.

أُطلق على الفترة التي سبقت فجر الإسلام بالعصر الجاهلي، ومنه قِيست لفظة الجهل على كل جوانب العربي الجاهلي أنداك فوُصف بالمتوحّش والمتخلّف، وحصرت النظرة إليه في نظرة الاحتقار والتقليل من شأنه وجُرِّد من كل الخصال والمحامد باعتباره عاش في فترة لم يدركها الإسلام، وباعتبار العربي الجاهلي لم يتحل بحلة القيم الإسلامية، غير أنَّ هذا الحكم لم يستند إلى دليل ملموس بل كانت ردّة فعل لمن كانت لهم وجهة نظر ضيِّقة لما حمله أهل هذا العصر رغم الطبيعة القاسية التي ألَمَّت بهم. والَّتي لم تزدهم إلا دافعا للتمسّك والتسلُّح بأرقى الخصال وأنبلها وحتّى لا نظلم عرب الجاهلية وتكون لنا وجه نظر تنبثق عن ناحية دينية مهملين نواح شتى من حياتهم، كان لابدّ أن نعود إلى الشّعر الجاهلي باعتباره وثيقة ملموسة يُستند عليها في كل حُكمٍ.

ارتأينا أن يكون بحثنا ضمن هذا النوع من الشّعر وهو الشّعر القديم محاولين بذلك حصر القيم فيه، وكان اختيارنا لهذا الموضوع أسباب عدّة نذكر منها:

1-حُبنا للشعر الجاهلي وميلنا إليه بما حمله من صور إبداعية ودقَّة في التعبير وجزالة الألفاظ والقدرة على الإبداع والتوليد.

2-إيماننا بأنّ الشعر الجاهلي هو الأصل الّذي اعتمدت عليه العصور اللّاحقة في توليد المعاني، فكان نموذجا يتّخذه الشّاعر الحجر الأساس لبناء قصيدته، وإن دلَّ ذلك على شيء فإنَّما يدل على مكانة وبراعة الجاهلي في نظمه.

3-مقابلة تلفزيونية والَّتي أكّد الصحفي فيها على أنَّ الدول العربية والمحتلة خاصة تتلقى تهديدا بعدم إبرام الأدب الجاهلي ضمن البرنامج الدراسي، باعتبارهم كفار ومنحلين أخلاقيا ولا يجوز أن نتعرّف على ثقافتهم ودياناتهم مدرجين ذلك تحت نطاق الإسلام. مع العلم أنَّ ديننا الحنيف لا يمنعنا من التعرّف على الثقافات والدّيانات الأخرى وهذا ما أكده قوله تعالى:﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات، الأية:13]، فكان هدفنا الأساس لفت النّقاد والدارسين لتلك الخصال الحميدة التي اتصّف بها كل أولئك العرب من كرم وشجاعة وسماحة وتآزر والّتي لم يكن ديننا يتعارض معها وإنّما جاء مساندا ومؤكدا عليها.

تعودنا في بحوثنا الأكاديمية أن تعترضنا بعض التساؤلات والّتي قد تتراكم فيما بعد لتشكّل لنا مجموعة من الأسئلة الّتي تكون منطلقا في بداية بحث جديد بحثًا عن إجابات وحلول، وبحثنا هذا كغيره من البحوث قد شابّه بعض التساؤلات التي نذكر أهمها:

هل فعلا اتّصف عرب الجاهلية بقيّم إنسانية نبيلة أم كانت حياتهم مبنية على الطّيش والتمرّد فقط؟ وإن كانت لهم قيم فعلا فهل جاءت ضمن أشعارهم؟ إن كان للجاهلين قيّم؛

فيما تمثلت وما الدليل على ذلك؟ هل كانت طبيعة الصحراء القاسية سببا في انبثاقها أم عائقا أمامها؟.

كل هذه التساؤلات حاولنا أن نجيب عنها ضمن ما هو آتٍ متبعين بذلك المنهج الوصفي التحليلي، ضمن خطّة اقتضاها الموضوع تمثّلت في: مقدمة تمهيدية للموضوع، مدخل، فصلين وخاتمة.

المدخل: اتّسم تحت عنوان "لمحة عن العصر الجاهلي" والذي حاولنا فيه أن نُلِّم بأهم ما تميّز به هذا العصر بداية بتحديد حقبته الزمنية مرورا بطبيعة هذا العصر، والمنّاخ فيه الّذي كان له دور في نوعية الشِّعر ذاكرين بذلك أهم شُعراء هذا العصر.

الفصل الأول: وجاء تحت عنوان " القيمة مفاهيم وآراء" قمنا في هذا الفصل بالإلمام بمفهوم القيمة ودلالتها وطبيعتها من خلال تقسيمها إلى أنواع وترتيبها ضمن ما يسمّى بسلم تدرّج القيم، مع تحديد طبيعة كل واحدة منها وتبيان وظائفها كما وألممنا بنوعية العلاقة التي تجمع بين الإنسان والقيمة من حيث إن كانت أصلية فيه أم مُستمدة من المحيط الخارجي له، مع محاولة استنباط أهم القيم الّتي عُرف بها الجاهليون والتعريف بها، كالكرم والشّجاعة، التعاون والصبر، الوفاء والتواضع.

الفصل الثاني: وكان بعنوان "تمظهرات القيم الانسانية في الشّعر الجاهلي" وكان هذا الفصل فصلا تطبيقيا الذي قُمنا من خلاله بأخذ مجموعة من النماذج الشِّعرية التي جاءت ضمن موضوع القيم في ذاك العصر، محاولين استخلاصها عند أكثر من شاعر لنبين أن هذه الخصال كانت مشتركة بكثرة عند العرب آن ذاك فتغنى بها شعراؤهم أمثال: الشّنفرى، حاتم الطائي، زهير بن أبي سلمى، عنترة بن شدَّاد. وكُنا نأمل لو كان باستطاعتنا أن نستفيض في هذا الموضوع أكثر ولكن لم يساندنا الوقت في ذلك.

واجهنا في بحثنا هذا بعض العراقيل نذكر منها على سبيل المثال تشتّت المادة العلمية بين المصادر والمراجع، وكذا قلتها في جامعتنا الفَتِّية، بالإضافة إلى نُدرة وجود دراسات حول القصيدة الجاهلية بشكل مستفيض فجُلها ركّزت على الجانب اللغوي والاشتقاقات في اللغة مُهملة بذلك المعنى. غير أنّ هذه الصعوبات لم تقف عائقا أمامنا.

اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع كانت بمثابة قاعدة صلبة نستند عليها مصادر في بناء هذا الموضوع باعتبارنا في بداية مشوارنا والّتي من أهمها: الشّعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه لمحمد النويهي، وشرح المعلقات السبع للزوزني، وكذا الدواوين وشروحاتهم للشعراء الأربع السابق ذكرهم.

نحن لا نزعم بأنَّنا قد جئنا بالجديد ولا نزعم كذلك بأنَّ موضوعنا هذا لم يكن مطروقا من قبل فقد جاءت دراسات عدة في ذلك كـ"القيم الأخلاقية وجماليتها في الشعر الجاهلي" مذكرة تخرج ماستر من إعداد الطالبين "مونسي مصطفى وعبيد الله محمد" جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ولكنَّنا حاولنا أن نتوسع أكثر في ذلك كأخذنا لأربعة نماذج بدل نموذج واحد بأسلوبنا الخاص.

ونشهد الله عزّ وجل أنَّنا قد بذلنا ما بوسعنا لإتمام رسالتنا هذه ولم نبخل عليها بوقتنا، وإن وُجدت فيها بعض زلّات القلم فذلك من الطبيعة الإنسانية لا قصدا منا والكمال لله عزَّ وجل، وكما يقول الرّسول صلى الله عليه وسلم: {للمجتهد أجران، أجرا إن أصاب وأجرا إن أخطأ والله هو الهادي إلى الصواب}.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا المشرف "**فايد محمد**"، ونسأل الله عز وجل له ولنا التوفيق بإذنه تعالى.

تيسمسيلت في:

2018/05/16م.

مدخل

لمحة عن العصر الجاهلي

تاريخ الشعر الجاهلي:

إذا أردنا أن نحدّد فترة العصر الجاهلي من بدايته إلى نهايته، فلا يُمكننا ذلك ولا يَسعنا القول إلّا بكونها تلك الفترة التي سبقت ظهور الإسلام. ويمكن لنا تقسيمها إلى «جاهلية أولى ضاربة في أعماق التاريخ، تضُّم تاريخ العرب العاربة والعرب المستعربة، وسبأ وحِمير، والعماليق الّذين سكنوا مكّة، والأمم التي خسف الله بها مثل قوم هود وصالح...، وثانية متأخِّرة التي سبقت الإسلام مباشرة وتتراوح مدّتها بين 150 و200 سنة، وهي الجاهلية التي وصلتنا أثارها متمثلة في أخبارها وأشعارها وأمثالها، وهي التي نطلق عليها اسم العصر الجاهلي.»[1] ويُجملها بعض النقاد ضمن جاهلية واحدة محدّدة بالفترة التي تسبق الإسلام.

وقد اختلف النقاد في تسمية هذا العصر بالجاهلية وتعدّدت الآراء حول مدلولات التسمية، والأرجح على أنَّ أصح هذه الأقوال في كون الجاهلية «بمعنى السَّفه والغضب، في مقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع لله وحده، وتنطوي على الخلق الكريم، وهي إذا ليست مشتقة من الجهل الّذي هو ضدّ العلم»[2]، وإنّما تعني مفهوما مغايرا.

حاول النقاد تفسير كلمة "الجاهلية" بالرجوع للقرآن الكريم وما جاء به من ذكرٍ لها في مواقع شتّى كقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية:97]

وقوله :﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ .﴾[سورة الفرقان، الآية : 93]. وهذه الآيات الكريمة تؤكد لنا ما سبق به النقّاد من تفسير ودلالة في كونها ضّد الإسلام الّذي يدل على الخضوع وطّاعة لله عز وجل.

---

[1] **– مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط7، 2008م، ص11 .**

[2] **- سامي يوسف أبو زيد+منذر ذيب كفافي، الأدب الجاهلي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1431هـ– 2011م،ص17 .**

فمصطلح الجاهلية يدل على الحَمِيَة والمفاخرة، وهذه الصّفات كانت بارزة في سلوك العرب قبل الإسلام. ولكي نأخذ صورة أوضح عن حالة العرب في هذا العصر لابدّ من التّطرق إلى العوامل التي أثرت فيهم.

أولا : الحياة الاجتماعية

بحكم البيئة الصّحراوية التي كان يعيش فيها العرب قديما نجدهم انقسموا إلى قبائل تستقر كل قبيلة في موضع ما طلبا للمأكل والمشرب وسعيا وراء متطلبات العيش، فكانت حياتهم مبنية على التّرحال وانقسمت القبيلة فيهم إلى طبقات «أبناء القبيلة: وهم ذوي الدّم النقي الّذين ينتمون إلى أب واحد وما اصْطُلح عليهم أصحاب النسب الصريح. العبيد: وهم العربي الأسير وغير العربي الرّقيق الّذين كانوا يجلبونهم من البلاد المجاورة للجزيرة العربية. الموالي: وتتألّف طبقتهم من العُتقاء ومن العرب الأحرار، الّذين لجأوا إلى قبائل أخرى وعاشوا في كنفِها وحمايتها»[1]، ومنه كانت الطبقة الأولى طبقة الأسياد فهم الآمرون والنّاهون، والعبيد خدم عندهم يقومون بتلبية حاجياتهم الضرورية، كالرّعي والقيام بالأعمال الشّاقة. أما طبقة الموالي فكانت بين الطبقتين السابقتين والتي انبثق عنها «الخلعاء الّذين نفتهم قبائلهم عنها لكثرة جرائرهم وخباياتهم، فكان منهم الصّعاليك الّذين يتّخذون النّهبَ والقطع مكسبًا للعيش»[2]، وكان من أشهر صعاليك الجاهلية "**تأبّط شرا**"و"**الشنفرى**".وانقسمت العرب في الجاهلية إلى قسمين أهل البادية، وأهل الحضر«فكان الحضر يعيشون في المدن والقُرى، سواء في الحِجاز واليمن أو في الشّام والعراق...»[3]وقد كانت حياتهم الاجتماعية مبنية على بساطة العيش قائمة على الزّراعة والتّجارة والرّعي.

[1]- **مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص18.**

[2]- **شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة، ط1، ص67 .**

[3]- **سامي يوسف، الأدب الجاهلي، ص24 .**

ثانيا: الحياة السياسية

كانت الحياة العربية القبلية مبنية على اللُّحمة بين أفرادها والتّضامن وقت الشّدائد، فكان الفرد منها يُساند جماعته ظالمة كانت أو مظلومة، وقد عُرف عن الجاهليين الغارات والحروب التي كانت مصدر الرِّزق أحيانا ودفاعا عن فرد من أفراد أُسرها أحيانا أخرى، وعُرفوا بالتشدّد في أخذ الثأر«فكانوا يحرّمون على أنفسهم الخمرَ والنساءَ والحليبَ حتى يثأروا من غُرمائهم، ولم يكن لأيِّ فرد من أفراد القبيلة حقّ ولا ما يُشبه الحقَّ في نقض هذه الشَّريعة ولا في الوقوف ضدّها أو الخروج عليها.»[1] فكانت بعض الحروب تدوم لمدّة طويلة بين أجيال مُتعاقبة أخذًا بالثّأر لاسترجاع هِيبتهم ومكانتهم بين القبائل، والمساس بالفرد عندهم هو تعدٍ على القبيلة بأكملها، ومن بين ما ميزهم عدم قبولهم بالدِّية، فلا يرضون إلاَّ بسفك الدِّماء وشعارهم "الدّمُ بالدّمِ" كقول" **تأبّط شرا**":

قَليلُ غِرَارُ النَّوْمِ أَكْبَرُ هَمِهِ دَمُ الثَّأْرِ أَوْ يَلْقَى كُمّيًا مُسْفَعًا.[2]

فهنا يصف الشّاعر شخصا يسعى وراء الثّأر ولا يشغل تفكيره غيره لدرجة أنّه لا يقوى على النّوم قبل أن يأخذ حقّه من الجاني عليه.

وغالبا ما تُسمّى هذه الحروب بأسماء البِقاع والآبار الّتي نشبت بجانبها مثل "عَيْنْ أَبَاغْ" والّتي كانت بين "المناذرة "و"الغساسنة"، وقد تُسمى بأسماء مُسبّباتها مثل «حرب البَسوس وحرب داحس والغَبراء.»[3] فالبسوس كانت بين قبيلتي "بكر وتغلب" والتي كان سببها مقتل **كليب** على يد **جسّاس**.

[1]- **شوقي ضيف، الأدب الجاهلي، ص62** .

2- **المرجع نفسه، ص65** .

3- **المرجع نفسه ،ص65** .

ثالثا: الحياة الدينية

العهد الجاهلي عهد وثني بُني على الشِّرك وعبادة الأصنام من دون الله عزّ وجل ومن أشهَر أصنامهم التي عُرفوا بها «هُبل وكان لقريش في الكعبة وهو من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى .»[1] وكذا "مناة" وكان لهذيل وخُزاعة والعرب جميعا وهي ترمز إلى إله الموت أو القضاء والقدر، ويشير القرآن الكريم إلى بعض تلك الأصنام فيقول عزَّ وجل:﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[سورة النجم،الآية:19-20].وكثيرا ما كان العرب يُرجعون بعض الكوارث الطبيعية لغضب الإله عليهم وبأنَّها عقاب من الله عزّ وجل.

طبيعة الشعر الجاهلي:

من المعروف أنَّ العرب القُدامى قد طبعوا على الشعر لبداوتهم، والبدوي لحريته واستقلاله بأمر نفسه يغلب على أحكامه الوجدان ويطغى عليه الجانب الشعوري، ولعلّ أهم ما ساعده على ذلك هو الهدوء والسكينة لغلبتهما على الطبيعة الصّحراوية مما يُساعد على صفاء الذهن وإعمال القرائح وإطلاق العنان للتعبير عمّا يجول الخاطر.

وتعود بداية الشعر إلى حوالي 150 عام قبل الإسلام وهذا رأي الجاحظ في قوله: «الشعر العربي حديث الميلاد، صغير السِّن، أوَّل من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر والمهلهل بن ربيعة...فإذا استظهرنا الشعر فوجدنا له خمسين ومائة عام، وإذا استظهرناه بغاية الاستظهار فمائتي عام.»[2] ولعلّ "**الجاحظ**" قد أجحف بحق الشّعراء الّذين سبق عهدهم كل من "**امرؤ القيس**" و"**المهلهل**". وقد لقي هذا القول بعضا من المعارضين في تحديد زمن الشعر وكذا في إرجاعه إلى الشّاعرين السابقين فقال أحدهم بأنَّه: « قضية باطلة لا برهان عليها، وليس لها دليل ولا

[1]- **سامي يوسف أبو زيد، الأدب الجاهلي، ص33** .

[2]- **شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص38** .

أصل لها، وليس يبقى في أيدينا من استظهاره الذي استظهره إلّا أمر واحد، هو أنّ "امرؤ القيس" وخاله "المهلهل" من أقدم شعراء الجاهلية الّذين انتهى شعرهم إلينا، فإذا كان ذلك فإنّ أكثر الّذي انتهى إلينا من سائر قديم شعراء الجاهلية لا يكاد يتجاوز عمره مئتي عام.»[1] ومنه احتمالية إرجاع الشِّعر إلى عهد عَادٍ وثَمُود، وتعود فرضية عدم وصول شعرهم إلينا في كون انتقال الشعر مشافهة وضياعه عبر الأجيال.

ومما هو معروف أنَّ الشِّعر قد استظهر لنا حياة العرب في كل جوانبها، فكان بمثابة ديوان لعلمهم، ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يسيرون فكانت العرب «تُنشد الشِّعر للغناء بمكارم الأخلاق وطيب أعراقها وذكر أيامها الصَّالحة...»[2] فلم يترك الشِّعر شاردة ولا واردة إلّا وأحصاها. وعرضها الشّعراء بمختلف الرُؤى كل حسب أسلوبه وإمكانيته. فصار للشّعر والشّاعر مكانة عظيمة بين القوم، لدرجة أنّ العرب عندما تسمع بمولد شاعر جديد في قبيلة ما«أتتها القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة...فكانوا لا يهنؤون إلّا بغلام يولد وشاعر نبغ فيهم، أو فرس تنتج.»[3]كيف لا وهو بمثابة المحامي المدافع عن مناقبها، والمحارب باللّسان وقت الشدائد والحروب.

ومن مظاهر الاهتمام التي شهدناها أيضا تقريب الأمراء للشعراء وإغداق الخيرات والعطايا عليهم، فكان الملك "**عمرو بن هند**" واحدا منهم حيث يُحكى أنَّه «أمر الحارث بن حلزة أن لا ينشد قصيدته المزّية إلّا متوضأً.»[4]وهذا دليل على مكانة الشّعر عندهم والّتي وصلت إلى درجة التقديس.

---

[1]- **أبو فهم محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر– القاهرة– ص14** .

[2]- **سامي مكي العاني، مكانة الشعر قبل الإسلام، عالم المعرفة، ص08** .

[3]– **المرجع نفسه، ص07**.

[4]- **المرجع نفسه، ص12**.

انصب الاهتمام على الشّعر والشّعراء على حد سواء، فكان الشّعراء في الجاهلية «بمنزلة الأنبياء في الأمم.»[1] وحلَّ الشعر في الجاهلية في مكانة الكتاب عند الأمم اللّاحقة، فالله عزَّ وجل قد أنعم على الشعوب الأخرى بكتب الشريعة كالقرآن والأناجيل والتّوراة، فكان للشعر قيمة كبيرة عندهم .

بيئات وخصائص الشّعر الجاهلي

الأدب فن كغيره من الفنون وهو ككل نِتاج إنساني يتأثّر بالبيئة التي ينشأ فيها الإنسان، ومنه كان لابدَّ لنا أن نَطَّلع على هذه البيئات حتّى يتسنى لنا فهم أدبنا العربي، خاصة الجانب الشِّعري منه، وابتغاء الكشف عن ارتباطه بكل بيئة من بيئاته والتي جاءت كالآتي:

***البيئة الجبلية:** كان تأثير الأوضاع القاسية قويا غلّابا «فأكثر شعرائها من الحديث عن الفقر والجوع، ومعاناة الإنسان ومثابرته في حياته، واصطناعه للغزو والنهب...ومخاطرته بنفسه في سبيل الحصول على قُوْتِه كما أكثروا من الحديث عن بؤس الحيوان وحاله.»[2] وذكروا أهم الأسواق التجارية وكذا القوافل، عارضين في ذلك غلاء الأسعار وضيق العيش.

-خصائصها الشعرية:

-غموض معانيها الشعرية وخَفائها، فلغتها تَعُجُ بالألفاظ الصّعبة التي تقترب إلى أن تكون مستغلقة على الفهم.

- البعد عن التصنَّع والتَّكلف فشعرهم مبني على السليقة والطبيعة.[3]

---

[1]- **سامي مكي العاني، مكانة الشعر قبل الإسلام، عالم المعرفة، ص12** .

[2]- **حسين عطوان، بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، ط1، 1413هـ-1993م، ص175** .

[3]- **ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص175** .

– تغلب الضخامة والرتابة على أوزانه وموسيقاه الخارجية والداخلية.[1]

***البيئة السهلية:** امتازت بتقلب أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية وكذا الجغرافية، فتوجَّه شعراؤها إلى التعبير عن اضطراب البيئة «بين الجدب والخصب، وتفاوت النّاس في الفّقر والغنى، فوصفوا انحباس المطر وما ينشأ عنه من إملاق ومرضى وهلاك، ووصفوا نزوله وما ينجم عنه من إمراع وحياة...وصوّروا المعارك التي كانت تَستعر بين القبائل لتنازعها على مساقط الغيث ومناقب العيش.»[2] فأكثر الشعراء من غرض الوصف لنقل كل ما يقع أمام أعينهم وإعادة صياغتها في قالب شعري.

–خصائصها الشعرية:

–تفاوت معانيها الشعرية بين السهولة والصعوبة.

–كثرة التشبيهات والاستعارات، فالشَّاعر القديم كانت تشبيهاته حسِّية، كتشبيه المرأة بالشَّمس والبدر وثغرها بالبلور وغيرها.

–أسلوب التشخيص من وصف لمشاهد الصّيد وما يحتدم فيها من صراع بين الحيوانات.[3]

***البيئة الساحلية:**

اقتربت نوعا ما من البيئة الجبلية في ظروف العيش فوصف الشّعر«الوقائع الّتي كانت تدور بين القبائل لتصارعها على عيون الماء ومواضع الكلأ، وما كان يصيبها من قتل وجراح...وتحدّثوا عن تطور الحياة بين بيئتهم ورقيها، وما شاع فيها من آفات اجتماعية، انحطّت بالغزل إلى طلب المتعة

[1]- **ينظر: حسين عطوان، بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، ص67** .

[2]- **المرجع نفسه، ص173** .

[3]- **ينظر: المرجع نفسه، ص175** .

واللّذة المادية.»[1] فاتّجه الشّاعر من التعبير عن مجريات الحياة إلى التعبير عن الجانب العاطفي من تغنٍ بالمرأة و غيرها.

-خصائصها الشعرية:

-سهولة المعاني ويسرها، فيها من الرِقَة والطَراوة ما يُيسر فهمها.[2]

-تشبيهات وصور تخيلية من صميم البيئة.

-الوحدة الموضوعية: تقوم على أساس تنمية الشّاعر لأقسام القصيدة تنمية عضوية، بحيث ينشأ كل جزء من سابقيه نشوءا طبيعيا مُقْنِعًا.[3]

***البيئة المدنية:** يظهر فيها جليا رُقي الأحوال الاجتماعية والثقافية «فعُني شعرائها بقضايا فكرية تتعلّق بالكون وخالقه الإنسان وحياته ومصيره بعد مماته، فالتّمسوا الدّين في الأفاق والبلدان، واتصلوا بالأحبار والرهبان وتعمّقوا في معرفة الدِّيانات السَّابقة كالحنفية واليهودية والنّصرانية.»[4] ولعلّ هذا الموضوع قد شكّل هاجسا للشَّاعر العربي القديم وخير دليل على ذلك ما جاء في قصائدهم من ذكر لثنائية "الموت والحياة" والتَّشاؤم من بعض الحيوانات وكذا اللَّون الأسود.

-خصائصها الشعرية:

-قلة الأساليب الفنية كالتشبيه والاستعارة، ويلوح فيه شيء من أسلوب القصص.

-وضوح معانيه فهي بيئة مدنية لا يكاد بعض ألفاظها يخفى إلّا نادرا.

-اعتماد الشّعراء في نظمهم على خفة الأوزان.[5]

---

[1]- **حسين عطوان، بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، ص177** .

[2]- **ينظر: المرجع نفسه، ص178** .

[3]- **ينظر: يحيى الجبوري، الشّعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط05، 1407هـ-1986م، ص264** .

[4]- **حسين عطوان، بيئات الشّعر الجاهلي، ص179** .

[5]- **ينظر: المرجع نفسه، ص91-92**.

وإجمالًا نستطيع القول أنّ الشعر الجاهلي كان مرتبطا في مواضيعه ومعانيه بطبيعة عيشهم فجاءت واضحة بسيطة ليس فيها تكلُّف ولا بُعد ولا إغداق في الخيال، سواء حين يتحدَّث الشَّاعر عن أحاسيسه أو حين يصور ما حوله.

ولا ننسى أهم خاصية للشعر الجاهلي وهي« ابتداء الشَّاعر بذكر الأطلال وبكاء الرسوم ومناجاة الدِّيار»[1]، وهي خاصية اشترك فيها جُلّ الشعراء الجاهليين إنْ لم نقل كلهم.

موضوعات الشعر الجاهلي:

جاء الشعر استجابة لخوالج النفوس وتعبيرا عن البيئات المختلفة التي عُرف بها العرب آنذاك، من عادات وأخلاق وتقاليد ومن هنا تنوّعت أغراضه وتشعَّبت مناحيه، فكان الشَّاعر يُعبِّر عن رغباته من إذاعة المكارم ونشر المحامد، وتصوير عاطفة ألَمَّها فقدُ حبيب وموت عزيز، ووصف لمحيطه الخارجي والتّغني بجمال محبوبته وخصالها، فلكل لغته وأسلوبه فنجد الشَّاعر يُجيد في فن منها ويُقصر في آخر. وحتّى نُزيل العُجمة عن هذه الأغراض نذكرها كالتالي:

1*__الغزل__: من أهم الفنون وأبرز الموضوعات وأعلقها بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان، وأكثرها شيوعا فلا طالما سمعنا عن بوح الشّعراء لمحبوباتهن ووصفهن وصفا عفيفا: من وصف الأخلاق الحميدة وخفة الدَّم وحسن المخاطبة ورقّة الصوت ، ووصفا ماجنا ماديا من خلال التفصيل في وصف المرأة كقول "**امرئ القيس**":

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِم مُحَوَلِ

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشِقٍ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَلِ.[2]

فيذكر الشاعر حادثته مع امرأة زارها في بيتها، وكيف ألهاها عن طفلها الرضيع.

[1]- **يحي الجبوري، الشعر الجاهلي "خصائصه وفنونه"، ص175** .

[2]- **زوبير دراقي، المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون–الجزائر– 1994م، ص52.**

2*__المدح__: فيه يثني الشَّاعر على إنسان ما بذكر أفضاله وتعداد خلاله الكريمة وخصاله العظيمة، ويتغنى بمناقب الجماعة ومآثرها عند قبيلة ما وللأسرة الحاكمة. وقد كان في بدء أمره «إحساسا بفضيلة أو شعورا بدافع إنساني إلى أن يمدح ويثني على من قدم له معروفا»[1]، وهذا النَّوع من المدح اشتهر بكثرة عند شعراء الجاهلية، وخير من مثّل هذا الاتجاه «زهير بن أبي سلمى الذي يدور شعره أكثره على مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وغيرهما لوقفهما حرب داحس والغبراء.»[2] عن طريق إعطاء دِيَّة لقبيلة عبس لتعويض الخسارة التي لحقت بهم.

ثمّ انتقل الشّعر إلى مدح الملوك والأمراء سعيا للتَّكسب ولعلَّ "**للنَّابغة**" أشهر بيت في المدح بقوله:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُو منْهُنَ كَوكَبُ.[3]

فشبَّه "**النَّابغة**" الملك الممدوح بالشّمس التي تُنير الكون بضوئها وتبثُّ الحرارة والدفئ، فكذا كان الملك راع على رعيته ينشر السِّلم والأمان.

3*__الهجاء__: نقيض المدح وأشّد الأغراض الشعرية وقعا على النفس فيقلّل الشَّاعر فيه من شأن المهجو ويحط من قدره، وهو لا يهجو شخصا أو قبيلة إلّا إذا كان يحمل بقلبه غصّة أو ضغائن وأحقاد اتجاه المهجو، فيلجأ إلى ترسم مساوئه وكشف النِّقاب عن العيوب والنقائص والانكسارات والجبن في المغامرات، وعن البخل والتخاذل سعيًا إلى إذلاله. يهجو "**حريث**" إمرأة من "**بحتر بن عتود**" وزوجها وقومه قائلا:

---

[1]- **مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص96** .

[2]- **إميل ناصيف، أروع ما قيل في المدح، دار الجيل، بيروت، ط1، ص13** .

[3]- **المرجع السابق، ص97** .

بَني ثَعْلُ أَهْلُ الخنَا مَا حَديثُكُمْ لَكُم مَنْطقٌ غَاوٍ وللنَاس مَنْطِقُ

كَأَنَّكُمْ معْزَى قَواصِـــــعٌ جُرَة من العَي أو طَيْرٌ بخَفَان يَنْعِـقُ.[1]

ويعود سبب هجائه لتلك المرأة كونها أخلفت بوعدها له بالزواج منه وزواجها برجل من "بني ثعل".

4*الوصف: لا يسلك الشَّاعر سبيله إلّا إذا كان ذا بصيرة نافذة وذهن صافٍ، فوصف الشعراء ما وقعت عليه أنظارهم «من أرض وسماء، وشجر وجبال، وحيوان ورمال، ورياح وأمطار...وكل ما مرّ بهم من ظواهر الطبيعة وأحداث الحياة.»[2] و كذا وصف الرحلة والضّعائن ووصف للأطلال والنّساء والحيوانات. كوصف "**عنترة بن شداد** "لفرسه قائلا:

وَلَهَ عَسِيـبٌ ذُو سَبِيبٍ سَابغٌ مثْلَ الردَاءِ عَلَى الغَنّي المُفَضَلِ

سَلِسُ العِنَان إِلَى القتاَل فَعَيْنُه قَبْلَاءُ شَاخــصَةٌ كَعَيْن الأَحْوَلِ.[3]

فعدّد صفاته ووصف شكله وحركته أثناء خوضه للحروب.

5***الرثاء:** بكاء الميت، والتفجُّع عليه، وإظهار اللَّوعة لفراقه، ومنه كانوا يعدِّدون مناقبه ويشيدون بمآثره وفضائله، وقد كثُرت المراثي في العصر الجاهلي بسبب كثرة حروبهم، فرثى الشعراء قتلاهم واشتمل هذا الغرض على الرجال والنساء على حد سواء، فكانت "**الخنساء**" ممن طرق باب الرثاء قائلة:

يُؤَرِقُني التَذُكُرُ حينَ أُمْسي فَيَرْدَعُني مَعَ الأَحْزَان نُكْسي[4]

وهذا البيت من قَصائد طوال الّتي رثت فيها صخر.

---

[1]- **أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب بمصر،ج14، طبعة خاصة تصدرها دار الشعب، ص5264 .**

[2]- **مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص103 .**

[3]- **الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان– 2012م، ص124 .**

[4]- **أبو العباس ثعلب، شرح ديوان الخنساء، شر: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان–، 1429هـ– 2008م، ص25 .**

مصادر الشعر الجاهلي:

سعى العلماء والأدباء العرب في جمع مادة الشِّعر الجاهلي واستقصائها في كل من الدواوين المفردة للشُّعراء وأخرى للقبائل وكذا المنتخبات العامة، فكان من هذه الأخيرة ما يلي:

أ/المعلقات: سُمِّيت بذلك لنفاستها أخذا من كلمة "علق" بمعنى النفيس وكون «عرب الجاهلية كانوا يعلقون وثائقهم وكتاباتهم ذات القيمة في الكعبة لقداستها في نفوسهم، وذلك إظهارا لعلوّ مكانة هذه الوثائق والكتابات»[1]، وهي مجموعة محدودة من القصائد الطوال علقت على أسوار الكعبة.

وقد اختلف في تسميتها فسمِّيت "بالسَّموط" التي تعلق بالأعناق، «والمذهبات لأنّها تستحق أن تكتب بماء الذهب لنفاستها.»[2]وحسن صياغتها وتخيَّر ألفاظها وجزالة معانيها.

ويقال إنّ أوّل من رواها مجموعة في ديوان خاص هو "**حماد الراوية**" وكان من بين النقاد الّذين رأوا بوجود سبع معلقات كان أصحابها كالتالي:« امرؤ القيس، زهير، طرفة، لبيد، عمر بن كلثوم، الحارث بن حلزة، وعنترة بن شداد، وجاء بعده التبريزي ليضيف كل من: عبيد بن الأبرص، الأعشى والنابغة.»[3] ومنه يصبح عدد المعلقات عشرا.

ب/المفضليات: هي المجموعة الثانية من المنتخبات وسمِّيت كذلك نسبة إلى صاحبها " **المفضل الضبي**" ونعني بها «أقدم مجموعة صنعت في اختيار الشعر العربي، ولا نعلم أحدا من قبل المفضل الضبي أقدم على أن يضع للنّاس اختيارا من الشعر، إذا كان جلّ هم الرواة أن يقتنصوا هذه الثروة الفنّية التي وصلت إليهم.»[4] ابتغاء تدوينها وحفظا لها من الضياع.

---

[1]- **ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط01، 1956م، ص172**

[2]- **بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار النظير عبدود، بيروت، ط1989م، ص69.**

[3]- **شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص176.**

[4]- **المفضل الضبي المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر+ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، بيروت–لبنان–، ط07، ص09.**

واختلف النقاد حول عدد قصائدها وهي "مائة وست وعشرون" قصيدة وُجدت في بعض النسخ «ستة شعراء إسلاميون، وأربعة عشر مخضرمون والباقون جاهليون لم يدركوا الإسلام.»[1] كما وأضاف بعض النقّاد أربعة قصائد أخرى وبهذا يصبح عددها 130 قصيدة.

ج/الأصمعيات: وتعود تسميتها إلى راويها "**أبي سعيد بن عبد المالك بن قريب**" المشهور "**بالأصمعي**"، بلغت عدد قصائدها ومقطوعاتها «اثنين وتسعين وهي موزعة على واحد وسبعين شاعرا، نحو أربعين جاهليا على رأسهم "امرؤ القيس" و " الحارث بن عباد".»[2] والباقي بين مخضرمين والعصور الأخرى. غير أنّ الأصمعيات لم تلق رواجا واسعا كرواج المفضليات وهذا ما يشير إليه "**ابن نديم**" في "الفهرست" قائلا:«وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء، لقلَّة غلبتها واختصار رواتها.»[3] باعتبار الأصمعي جاء على ذكر تلك الأشعار باختصار دون التفصيل فيها.

ولما كانت الأصمعيات والمفضليات من مجموعة شعرية يُكمل بعضها بعضا، فإنّه من الضَّروري أن نذكر أنّهما «يلتقيان في تسع عشرة قصيدة وكان ذلك من الأسباب التي دعت بعض الباحثين إلى أن يقولوا أنّ مجموعة المفضليات ليست كلّها من اختيار المفضل الضّبي وإنّما اشترك معه في اختيارها الأصمعي، بأن زاد في مجموعة المفضل بعده بعض قصائد لم يخترها.»[4] وتبقى كل من المفضليات والأصمعيات جزءا من الميراث الذي خلّفه الشّعراء الجاهليون.

د/جمهرة أشعار العرب: "لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي"«صدره بمقدمة انتقادية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، قابل القسم الأول منها بين لغة الشّعر ولغة القرآن. وذكر في القسم الثاني:

---

[1]- **ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية، ص573 .**

[2]- **شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص178.**

[3]- **الأصمعي، تح: سعدى مناوي، شرح الأصمعيات، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان– ط1، 1424هـ–2004م، ص08**

[4]- **أحمد عوين، من قضايا الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، 2002م، ص198.**

أول من قال الشعر، وحصر القسم الثالث بتعيين طبقات الشّعراء وذكر أسمائهم وأورد طرفا من أخبارهم وأقوال العلماء فيهم، تضم تسعا وأربعين قصيدة طويلة موزعة على سبعة أقسام.»[1]معتمدا في ذلك على عدة مقاييس فنية. ويمكن ذكر هذه التقسيمات كالتالي:«المعلقات[648 بيتا]، المجمهرات[322 بيتا]، المنتقيات[192 بيتا]، المذهبات[162 بيتا]، المراثي [367 بيتا]، المشوبات[370 بيتا]، الملحمات[55 بيتا].»[2] ونلاحظ أنّ "**القرشي**" لم يأخذ القصائد كما هي وإنّما اعتمد على انتقاء أجود المقطوعات والأبيات التي استهوته وكان للمعلقات الحظ الأوفر منها.

أما فيما يخص الدواوين فكانت كالآتي:

1/**الدواوين المفردة:** نقصد بها مجموعة من القصائد والمقطوعات تفرد بها شاعر ما عن غيره من الشّعراء، ومنها دواوين الشّعراء السّتة الجاهلين «امرؤ القيس، النابغة، زهير، طرفة، عنترة، علقمة.»[3] والتي تفاوتت فيما بينها في عدد القصائد وكذا باختلافها في طريقة الصّياغة والأساليب.

2/دواوين القبائل: أشعار ذات أصل واحد يجمع فيها العالم قصائد لمجموعة من الشّعراء ينتمون إلى نفس القبيلة. وقد علمنا أن جُلَّها قد ضاع «ولم يبق إلَّا قِطع من ديوان هُذيل التي نُشرت في خمس مجموعات.»[4]ولعلَّ ممَّا سبَّب ضياعها انتقال الشّعر عن طريق المشافهة.

ولا تقل قيمتها عن قيمة الأصمعيات والمفضليات «فتُعَد القطع التي وصلتنا من شرح السُّكري ذات قيمة تاريخية فهي مؤلفة المصادر فضلا عن أنّه ضمنّها أخبارا وشروحات.»[5]من ذكر لرواتها وشعرائها وشرح للمفردات المستعصية فيها.

---

[1]- **شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص178** .

[2]- **طلعت فهمي الخفاجي، مصادر اللغة والأدب، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ط01، 2005م، ص213**.

[3]– **المرجع السابق، ص190**.

[4]- **شوقي ضيف، المرجع السابق، ص190**.

[5]- **سامي يوسف أبو زيد، الأدب الجاهلي، ص57**.

وتعود فكرة تدوين هذه الدواوين إلى النّظام الذي كان سائدا في ذلك العصر فمعروف أنّ «كل قبيلة كان لها كاتب تَؤُول إليه، يقيِّم أخبارها ووقائعها ومبدعات شعرائها.»[1] فكانت هذه الدواوين بمثابة وِسام للقبيلة تفتخر به أمام القبائل الأخرى.

أشهر شعراء الجاهلية:

كل قبيلة تسعى إلى أن يكون لها شاعر يدافع عنها، يهجو خصومها ويمدح خصالها «فالشعراء يقودون قومهم بقولهم، وينضحون عنهم يوم حفلهم ويخلدون مآثرهم على الدهور وينقشون مفاخرهم في الصدور.»[2]ومنه سعت كل قبيلة إلى تحفيز شعرائها على قول الشعر. ومن أشهر شعراء الجاهلية ما يلي: « النابغة الذبياني، امرؤ القيس، الحارث بن حلزة، ذو الإصبع العدواني، زهير بن أبي سلمى، السموأل بن عادياء، الشنفرى، طرفة بن العبد، عبيد بن الأبرص، عروة بن الورد، علقمة الفحل، عدي بن زيد، عمر بن كلثوم، عنترة بن شدّاد، قس بن ساعدة، المهلهل، المرقّش الأصغر...»[3]وغيرهم من الشّعراء الفطاحلة الذين لازالت أشعارهم تُدرس وتتناقل من جيل إلى أخر إلى يومنا هذا.

[1]- **عز الدين إسماعيل المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار المسيرة، ط01، 1424هـ-2003م، ص56.**

[2]- **أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، ط14، ص36.**

[3]- **أحمد الفاضل، تاريخ وعصور الأدب العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط01، 2003م، ص30.**

الفصل الأول

القيمة مفاهيم وآراء

مفهوم القيمة وأهم ما جاء حولها:

القيم من أهم المفاهيم التي اهتم بها الكتاب والنقاد والفلاسفة، ومن أهم الخصال التي لابدَّ للإنسان أن يتحلى بها في كافة جوانب حياته وعلى اختلاف أنواعها، والتي كِادت أن تغيب عنّا في عصرنا هذا وقد تعدَّدت وُجهات النظر حولها من اختلاف في التعريفات والتصنيفات وفي إعلاء شأن كل قيمة عن الأخرى، وتفاوت أهميتها باختلاف الزَّمان والمكان وجاء الكلام مُوَسَعًا أكثر حول علاقة القيمة بالفلسفة، فاختلف الفلاسفة في أرائهم حول القيمة ونشأتها وطبيعتها ومصدرها، وحتى نفصّل أكثر في الموضوع كان لابدَّ أنْ نعرج على أهم التفاصيل.

التعريف اللغوي والاصطلاحي للقيمة:

أ/لغة: عرفها **عبد الله قلي** في قوله:« تشتق كلمة القيمة في اللغة العربية من القيام، وهو نقيض الجلوس، والقيام بمعنى آخر هو العزم، ومنه قوله تعالى:﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ [سورة الجن، الآية:19] أي لما عزم...كما تدل كلمة القيمة على الثمن الذي يقاوم المتاع، أي يقوم مقامه، وجمعها قِيمٌ، ويقال ماله قيمة إذا لم يدل على شيء»[1]، ومنه يختلف مفهوم القيمة من مجال إلى آخر.

ووردت لفظة القيمة في عدة مواضع كالقرآن الكريم وكتب التفسير ومعاجم اللغة والشعر فجاءت في القرآن الكريم في مجال «العبادة الخالصة لله في قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [سورة البينة،الآية:05]. ووردت في مجال الأحكام والقضاء ﴿ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣ ﴾[سورة البينة، الآية:03]. وفي كتب التفسير ومعاجم اللغة وفي الشعر بمعنى الاستقامة والطريق المستقيم، استعملت للخصال الحميدة المرشدة للنَّاس المعبرة عن

[1] -عبد الله قلي، "اللغة العربية وآدابها"، السنة الرابعة، الكتاب الثاني، جامعة التكوين المتواصل والمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، ص296.

المبادئ المتمسكة بروح الإسلام في كل المواقف الحياتية، وقد وردت هذه المادة في عدة معان قام قوما وقياما لتعني صفة الشيء الذي تجعله موضع تقدير.»[1] ولعل هذا التكرار لكلمة القيمة يوضح مدى أهميتها وأهمية الالتزام بها في حياتنا، فعلى كل إنسان أن يضع للأشياء التي يوليها اهتماما قيمة، كوضع هدف ما مثلا والسَّعي إلى تحقيقه.

ب/اصطلاحا: تعرف في المعنى الاصطلاحي على أنَّها مجموعة من الخصال التي يتَّخذها الفرد كأوليات لاتخاذ قرارات حياتهم وهي:« طريقة في الوجود أو في السلوك يعترف بها شخص أو جماعة على أنَّها مثال يحتذى، وهي الصِّفة التي تجعل من الشيء أمرا مرغوبا فيه ومطلوبا في المجتمع.»[2] بمعنى أنَّه إذا رغب فرد ما مثلا في تعلم الرَّسم يصبح هذا الأخير بمثابة القيمة لديه. وهي بمثابة مجموعة من المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني ولها مكانة مركزية في الحياة فهي «العمود الفقري لتكوين الشخصية...ولحمة السلوك البشري وسداده، ذلك أنَّها تشير إلى جملة المعايير الّتي نحكم من خلالها على هذا السلوك بأنَّه سليم، فنُعزِّزه ونتِّجه إليه، وبأنَّ ذلك السلوك خاطئ فندينه ونتصرف عنه ونتجنبه»[3]، فبواسطة القيم يمكن أن نحدِّد طبيعة الفعل إن كانت مستحبة أو منبوذة.

بالإضافة إلى التعريفات السّابقة ظهرت مفاهيم أخرى باختلاف المجالات والعلوم لتشمل الجوانب الاجتماعية والنفسية وغيرها.

1/في علم الاجتماع: يرى علماء الاجتماع بأنَّ القيم تعتبر حقائق أساسية هامة في البناء الاجتماعي « فالقيم ليست من خلق الفرد بل هي من خلق الجماعة، فما نسميه مثلا بأحكام القيمة إنَّما هو وليد الحياة الجمعية التي تضطّرنا إلى أن ننسى أنفسنا، ونتجرّد من مصالحنا ونتحرّر من مشاغلنا لكي نمضي نحو تحقيق الغايات الجماعية المشتركة بروح النّزاهة والإخلاص ونبذ الذات.»[4]

---

[1] -سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، "عصر الطوائف والمرابطين، دار الأفاق العربية، ط1، 1428هـ-2007م، ص19-20.

[2] - المرجع نفسه، ص22.

[3] - سعيد إسماعيل علي، الإسلام والغرب تعايش أم صراع؟ دار الفكر العربي، ط1، 1429هـ-2008، ص257.

[4] - حربى عباس عطيتو، الفلسفة: قضاياها ومشكلاتها، دار المعرف الجامعية الإسكندرية، ط01، 2008م، ص157 .

فهي بذلك تعالج من وجهة نظر السوسيولوجية على أنَّها عناصر بنائية تشتق أساسا من التفاعل الاجتماعي.

فكل ما يخدم الأطر الاجتماعية ويصب في صالحها يصاغ إلى ناحية القيم، وما لا يعود عليها بالمنفعة لُغي من دائرة القيم وهي بذلك «تعبر عن المرغوب فيه اجتماعيا، فيوصف الرجل الوقور والعالم الجليل بأنَّه رجل له قيمة، ويوصف الجاهل والمغرور بقلَّة القيمة، واتَّفق العُلماء جميعا بأنَّ القيمة تعبِّر عمَّا يعتقد الشَّخص أنَّه مهم بالنسبة له بمعنى أنَّها تُعبِّر عن أفكار الفرد حول ما هو صواب وجيِّد ومرغوب»[1] انطلاقا من كون العُلماء لهم دور كبير في خدمة المجتمع وما يعود به علمهم من منفعة، على عكس الجاهل الذي يُساهم في هدم مقومات المجتمع.

للقيم أهمية بليغة في إصلاح المجتمع وتوضيح معاليمه فقد اعتبرت بمثابة « موجهات لسلوك الأفراد ضمن ثقافة معينة أو مجتمع معين وتكتسب عبر التنشئة الاجتماعية، ويعطيها الأفراد اهتماما خاصا.»[2] فمن خلال تعايش الفرد ضمن مجتمعه يكتسب مجموعة من القيم تخوله لتمييز أفعاله بمعرفة صحيحها من زائفها.

ويعود اكتساب القيم الشخصية في النظرية الاجتماعية إلى مجموعة من المؤثرات والعوامل التي تساهم في تكوينها وأهمها «الدّين، الأسرة، الثقافة، التعليم والبيئة، فيَتشرب الفرد القيم والمعايير الاجتماعية من الأشخاص المهمين في حياتهم مثل الوالدين والمعلمين والقادة في العمل...ويتم ذلك في إطار ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه»[3]، أي أنَّ كل عنصر من هذه العناصر يساهم في اكتساب القيم الشَّخصية على سبيل المثال الأسرة تُشكل العامل الأساسي في تَكَوُّنِهَا، وذلك من خلال المقومات التي تسقلها في الفرد منذ طفولته، وتلبيها المدرسة وقيمها مرورا بإطار العمل وكافة العناصر المحيطة، فالقيمة تتغير بتغير أحوال النَّاس وطرق معيشتهم وتطور أفكارهم.

---

[1]- **جودة بني جابر، علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط01، 1425هـ-2004م، ص287** .

[2]- **المرجع نفسه، ص288** .

[3]- **عبد الله قلي، اللغة العربية وأدابها، ص297** .

2/**في علم النفس:** فسَّر علماء النَّفس القيم بأنَّها مجموعة من النِّزاعات والتوتُّرات النَّفسية وحاولوا بذلك ردَّها إلى « الوعي أو الوجدان النَّفسي بما يضطرب به من رغبات ومشاعر، ويمثل هذا الاتجاه: ماينونج، اهرنفلس، ماكدوجل وفرويد وأنصار علم النَّفس الاجتماعي.»[1] ومنه تصبح القيمة في علم النَّفس مبدأ مجرد وعام للسلوك بما يَخدم الشعور الإنساني ويغذي ميوله.

تصنيف القيم:

تعدَّدت تصنيفات القيم على اختلافها من عالِمٍ إلى آخر ومن مجالٍ إلى مجال كل حسب نظرياته ومرجعياته « فنجد أنَّ هناك القيمة الموجبة والقيمة السَّالبة، أو القيمة الأصلية والقيمة الوسيلية، والقيمة المباشرة أو القيمة غير مباشرة، وقيمة فعلية وقيمة ممكنة وغيرها.»[2] بمعنى أنَّ هناك قيم ثابتة وأصلية في الفرد وهي موروثة معه، وقيم أخرى يكتسبها من خلال احتكاكه بالإطار الخارجي، وقيم نسبيَّة تختلف باختلاف الزَّمان والمكان واختلاف المواقف وغيرها، وقيم ثانوية أو غير مباشرة نستعملها كوسيلة للوصول إلى القيم الأسمى المراد الوصول إليها.

قمنا باختيار مجموعة من التصنيفات على سبيل التوضيح كانت كالتالي:

1*__القيم الدِّينية:__ الّتي تنظّم حياة الفرد والجماعة لها صفة الثبَّات والاستقرار والدوام لأنَّها تتَّصل بالفطرة الإنسانية التي لا تتغير ولا تتبدَّل، وقد عُرفت هذه القيم بكونها ثابتة مهما تطورت حياة الإنسانية واختلفت أساليب تفكيره ومعيشته.[3] فهي مجموعة من المقومات التي يستمدُّها الفرد من الدِّين كمقومات الدِّين الإسلامي والمبادئ المستمدَّة منه من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والسنَّة النبوية ومصادر التشريع الإسلامي.

[1]- **سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، ص357 .**

[2]- **رمضان الصباغ، الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، 1998م، ص49.**

[3]- **ينظر: محمد كامل حته، القيم الدينية والمجتمع، مجلة اقرأ تصدر كل شهر، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة، ص242-243 .**

2*القيم السِّياسية: ونعني بالقيمة في المجال السِّياسي« مجموعة القيم التي تميز الفرد باهتماماته بالبحث عن الشُهرة والنُفوذ في مجالات الحياة المختلفة، وليس بالضَّرورة في مجال السِّياسة، ويتميز الفرد الذي تسود لديه هذه القيم دوافع القوّة والمنافسة والقدرة على توجيه الآخرين والتحكُّم في مستقبلهم»[1]، أي أن كل الخصال والمقومات تساهم في الرَّفع من شأن صاحبها وتزيده قوّة وصلابة.

3*القيم النظرية: كل ما يجذب اهتمام الفرد من النّاحية المعرفية والعلمية، أُعتبر ضِمن هذا النَّوع من القيم وكذا « السَّعي وراء القوانين التي تحكم الأشياء بقصد معرفتها، ومن الأفراد الذين تَبْرز عندهم هذه القيم الفلاسفة والعلماء والمفكرين.»[2] كالاهتمام بمواضيع الطبيعة وعلم الفلك وما يحدث فيها من تغيرات وتطورات، باعتبار القيم مجموعة من القوانين والقواعد التي تُسيِّر حياة الفرد وتُوَجِهُهُ.

4*القيم الاجتماعية: كل مجتمع يتميز بنظام خاص من القيم الأخلاقية التي تتجلى في سلوك الأفراد وحياتهم اليومية « وهي مجموعة القيم التي تميز الفرد باهتماماته الاجتماعية، وبقدرته على عمل علاقات اجتماعية والتَّطوع لخدمة الآخرين وتميز الفرد بقدرته على العطاء من وقته وجهده وماله لخدمة المجتمع.»[3] ومنه إذا تمسّك كل فرد من أفراد المجتمع بهذه القيم وعمِل بها ليتشكّل لدينا مجتمع متطور من كافة نواحيه.

6*القيم الجمالية : نقصد بها مجموعة القيم التي تميز الفرد بالاهتمامات الفنية والجمالية وبالبحث عن الجوانب الفنية في الحياة «وتجعل الفرد يحبّ التشكيل والتنسيق كالاهتمام بالرَّسم والموسيقى والرَّقص.»[4] وغيرها ومنه المساهمة في جمال العالم.

[1]- عبد الله قلي، اللغة العربية وأدابها، ص298.

[2]- المرجع نفسه، ص299.

[3]- المرجع نفسه، ص299 .

[4]- علي شناوة، النقد الفني والتنظير الجمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1432هـ-2011م، ص298.

سلّم تدرّج القيم:

لَما كانت القيم تقتضي الاختيار كان لابدَّ من وجود ما اصطلح العُلماء على تسميته "سلَّم القيم" فالتفضيل ينتج عنه وضع الأشياء في مراتب ودرجات بعضها فوق بعض وبعضها أرفع من بعض غير أنَّ « فكرة ترتيب القيم هرميا لا تدل في الحقيقة والواقع على أنَّ تلك القيمة لها موقع ثابت في سُلَّم القيم، بل إنَّ القيم تتبادل الدَّرجات والمراتب في السُلَّم الواحد، فتعلو وتهبط تِبعا لظروف الفرد وأحواله ورغباته واهتماماته من حيث قوَّتها وإلحاحها، وسهولة أو صعوبة تحقيقها.»[1] فالقيم تخضع للتغير والزِّيادة والنقصان تأثرا بالظروف الخارجية كالزَّمان والمكان، فلو قُلنا مثلا أنَّ الطالب يضع في أولوياته أو على رأس هرمه السُلَّمي الحصول على شهادة التخرج كقيمة عُليا في فترة تمدرسه، فإنَّ هذه القيمة تسقط في رتبتها فور تحقُّقها.

يميز **"لوى لافيل"** بين ثلاثة أصناف من القيم كالتالي:

أ/قيم الإنسان في العالم وتشمل القيم الاقتصادية والقيم العاطفية.

ب/قيم الإنسان اتجاه العالم وتشمل القيم العقلية المتعلقة بمعرفة الأشياء وتفسير الظواهر والقيم الجمالية.

ج/قيم الإنسان فوق العالم وتشمل القيم الأخلاقية والقيم الروحية أو الدِّينية.[2]

ومنه اعتمد **"لافيل"** في تصنيفه على الإنسان كعنصر أساسي منخرط في العالم وكائن يتأمَّل فيه، لأنَّ الإنسان طَموح بشكل دائم للوصول إلى المستويات العليا في الفكر والسلوك.

تنتظم القيم في السُلَّم الهرمي عبر مستويات مختلفة ويعود ذلك حسب أولوية الأفراد فيصِّح أنْ يكون للشَّخص عدة سلالم للقيم بعدد المواقف الكثيرة التي تدعوه للاختيار والمفاضلة، ومنه تحتل

[1]- **علي شناوه، النقد الفني والتنظير الجمالي ، ص290.**

[2]- **ينظر: حربى عباس عطيتو، الفلسفة: قضاياها ومشكلاتها، ص354 .**

القيم الّتي تترأس الهرم « مكانة اجتماعية عالية تُسمَّى القيم الإلزامية ومن أمثلتها مسؤولية الأب نحو أسرته، ويلي ذلك القيم التي يشجعها المجتمع ويدعو إلى الاقتداء بها ويُكافئ من ينجح بها...وتُسمَّى التَفْضِيلية، أمَّا المستوى الثالث في تدرُّج القيم داخل السُلَّم القيمي فهي القيم المثالية التي يستحيل تحقيقها بصورة كاملة، ولكنَّها تؤثر في توجيه سلوك الأفراد ومن أمثلتها مقابلة الإساءة بالإحسان.»[1] فهناك قيم تفرض نفسها بأن تحتل المرتبة الأولى، وهي ما أُصطلح عليها "القيم الإلزامية" التي يصبح الفرد أمامها ملزم بالتمسّك بها، يليها ما تبقى من رغبات وأهداف وما يفضله الأشخاص كل حسب ذوقه وما يقتضيه مقامه.

وقد نجد عند الشَّخص الواحد مجموعة من القيم ضمن سُلَّم هرمي واحد، تتعارض وتتداخل فيما بينها كأن يُحبذ صفة الكرم من جهة وحب المال من جهة أخرى.

طبيعة القيم:

اهتم النقّاد بدراسة القيم وتصنيفها وتقسيمها وتمحيصها كل حسب طبيعتها، فاهتدوا بذلك إلى مجموعة من النتائج منها:

***قيم نسبية متغيرة:** تعد وسائل إلى غايات أبعد منها كالثروة التي تُطلب لتحقيق السعادة مثلا.

***قيم مطلقة ثابتة:** يقصدها الإنسان لذاتها ولا يلتمسها لأغراض يبتغيها من وراءها كالسعادة التي تعد خيرا في ذاتها مثلا.

***قيم موضوعية:** توجد خارج أذهاننا بوصفها جزء من الكون ويرى أصحابها أنَّ الخير كامن في موضوعات أو مواقف معينة، وإنَّنا نُقدر هذه المواقف أو نَرغب فيها نظرا إلى ما تحتويه من جاذبية.[2]

[1] – **علي شناوه، النقد الفني والتنظير الجمالي ،ص290.**

[2] - **ينظر: حربى عباس عطيتو، الفلسفة: قضاياها ومشكلاتها، ص150** .

***قيم ذاتية:** وتكون مغروسة عند كل فرد أي « يحس كل واحد منَّا بالقيم على نحو خاص به.»[1] فالقيم الأولى قابلة للتَّغير من عصر إلى آخر، بينما تبقى القيم الثانية على حالها رغم اختلاف الزَّمان والمكان، ويبقى الإنسان بأمسِّ الحاجة إليها.

وظائف القيم:

لا يوجد مجتمع من المجتمعات إلَّا وكان له مجموعة من القيم باختلاف أنواعها، فالقيمة أمر حتمي للحياة ولا معنى لها بدونها، فهي التزام موافق لطبائع الإنسان لما كان لها من أهمية ووظائف التي تتجلى كما يلي:

-تقود إلى اتجاهات محدَّدة فيها تتعلق بالقضايا الاجتماعية.

-تقودنا إلى تفضيل إيديولوجيا سياسية أو دينية معينة.

-تستعمل كمعايير من أجل الإقناع والتأثير على الآخرين فنعرف أي قيمة تستحق أن تؤثر أو تتأثر بها.[2]

-تُتَّخذ كأساس للحكم على سلوك الآخرين.

-تُوجه لديه إحساس الصواب والخطأ.

-تُمكن الفرد من معرفة ما يتوقعه من الآخرين وماهية ردود الفعل.[3]

بالإضافة إلى هذه العناصر تعمل هذه القيم على تحقيق نوع من التَّرابط والتّلاحم والتّماسك الاجتماعي فهي «تُحقِّق بنية الكون الذي نحياه بالفعل، فهي العنصر الأساسي والرئيسي للحياة

[1]- **جودة بني جابر، علم النفس الاجتماعي، ص288** .

[2]- **علي شناوة، النقد الفني والتنظير الجمالي، ص289**

[3]- **ينظر: عبد الله قلي، اللغة العربية وآدابها، ص300**

الأخلاقية، فالقيمة عبارة عن أداة لابدَّ منها لتحقيق الانسجام مع المجتمع.»[1] وهذا ما يؤكده الاتجاه الاجتماعي في كون القيم امتداد للفرد والمجتمع باعتبارها البعد الإنساني الأسمى لها، فتقوم بخلق وحدة نفسية للفرد وتحقيق التَّوازن والتّكامل لديه، وتهيؤه للمساهمة في العمل الجماعي الموحد، ومنه تحقيق بناء منظم لمجتمع زاهر، بالإضافة إلى أنَّ هذه القيم تمكنُّنا من الحكم على الأفراد في سلوكاتهم واعتقاداتهم واتجاهاتهم.

علاقة الإنسان بالقيمة:

تتشكَّل القيمة من طرف الإنسان بحد ذاته، وتختلف من فرد إلى آخر ومن مجال إلى آخر كل حسب أولوياته، لتكون بمثابة خطة مرسومة توضح لنا الطريق الذي يجب أن نرسم فيه خطانا باعتبار «القيمة هي العنصر الرئيسي للحياة الأخلاقية، وكأنَّها بحث عن التوازن الأكمل بيننا وبين ذواتنا من جهة، وبيننا وبين الآخرين من جهة أخرى»[2]، فلا يمكن أن نتصور وجود إنسان بدون قيمة فهي العنصر الرئيسي للحياة الأخلاقية.

فالإنسان لا يفكر بحكم إلَّا والقيمة متمثلة في ذهنه، لأنَّ الفعل الإنساني القيمي محكوم بشبكة من العلاقات الاجتماعية، وأنَّ القيم تُعبِّر عن الاتجاهات واعتقاد الأفراد ورغباتهم «فالقيم تتطلب منَّا التَّمسك بها من جهة لأنَّها تعطي لوجودنا بعدا وقدرا وتجعلنا نرغب في الزِّيادة منها من جهة أخرى لأنَّها تجعلنا نشرف على أفاق الوجود الكامل الذي يجذبنا إليه ويحملنا على الاستمرار في طلبه والبحث عنه.»[3] أي أنَّها تؤثر تأثيرا كبيرا في حياة الأفراد والجماعات، فتُراقب أفعالهم وسلوكاتهم وتوجِّههم.

[1]- **حسان هشام، مدخل إلى علم الاجتماع التربوي، ط01، 2008م، ص76 .**

[2]- **المرجع نفسه، ص74 .**

[3]- **المرجع نفسه، ص97 .**

لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون قيم لأنَّ القيمة في النِّهاية هي كل شيء بالنِّسبة إليه، وفعل مرغوب فيه، فالقيم التي يتعلق بها هي أنواع كثيرة ومتفاوتة تتجاوز بعضها البعض ومنه «فالعلاقة بين القيم والمقوم علاقة وشيجة، وهي علاقة وجود أي إذا غاب أحدهما غاب الآخر بالضرورة، وبوجودهما معا يتشكَّل الحكم القيمي.»[1] أي أنَّ الإنسان على صلة دائمة بالقيم، فهي كل ما يثبت إنسانية الإنسان ويسمو بها من درجة إلى أخرى.

فكل مفكر إنساني يحاول أن يكشف قيمة عليا يعتمد عليها، لأنَّها تُوجِّه سلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم، فتُستخدم كوسيلة لتحقيق غاية أو أهداف مرغوبة فكل من «الأخلاق والحريَّة والحق والخير وغيرها، جميعا مفاهيم تُجسِّد قيمة الإنسان فهو يحرص على أن يجعل من هذه المفاهيم أُسُسًا لأحكامه ومقومات لأفكاره...فكان من الضروري اعتماد قيمة الإنسان كمصدر وحيد للحُكم على أعمالنا الأدبية والفنية»[2]، فاجتماع هذه القيم فيم بينها هي ما يُشكِّل لنا ما يُسمَّى بالإنسانية.

علاقة القيم بالعلم:

تباينت الآراء حول علاقة القيم بالعلم بين معارضين ومؤيدين، فمنهم من أقرَّ بوجود قيم فيه ومنهم من أنكر ذلك، فاعتبار العلم بعيدا عن القيم هو تعبير عن اغترابه عن الإنسان الذي يُنشؤه، وكأنَّ الإنسان لا علاقة له بالعلم، أو لا يُعدُّ من صُنعه، وقد نسي من أقرَّ هذا الرأي أنَّ للعلم دور كبير في فعالية الإنسان «فالعلم وما توصَّل إليه الإنسان من ابتكارات وغايات علمية ناتج عن طابع قيمي، فالفاعلية الإنسانية هي قيمة في حدِّ ذاتها، فكل ما في الكون محكوم بقيم وغايات، وما على

[1]- **حسان هشام، مدخل إلى علم الاجتماع التربوي، ص74 .**

[2]- **عبد الكريم هلال خالد، أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة، منشورات جامعة قازيونس بنعازي–ليبيا– ط1، 2008م، ص161 .**

العلم إلَّا أن يقوم بدراسة هذه القيم والغايات من حيث هي وقائع أو أحداث موضوعية.»[1] فالعلم قيمة من أسمى وأهم القيم الإنسانية، يبحث في قوانين الأحكام والبراهين وطبيعتها، ويُعدُّ مطلبا ضروريا يسعى الإنسان إلى تحقيقه.

ويقوم العلم بعملية مهمَّة هي تنظيم الحياة الإنسانية اجتماعيا «فهو مجال يهم البشر جميعا لا العُلماء وحدهم، فتحديد الأهداف والقيم التي ينبغي أن يخدمها العلم أمر أسمى من أن يتداركه السِّياسيون المحترفون أو العلماء المختصون، وإنَّما الواجب أن يُشارك فيه كل من المفكرين والأدباء والفنانين وكل من يهمه مصير الإنسانية.»[2] حتى يتشكَّل مجتمع متماسك ومتضامن تكون قاعدته مبنية على قيم أسمى وإيجابية كالتضامن والتآخي والثِّقة وغيرها.

إذا فالعلم هو من أهم القيم، لأنَّها متضمنة في غاياته وأهدافه وكافة أنشطته وكل جديد في العلم هو زيادة في القيم.

علاقة القيمة بالفلسفة:

تعتبر الفلسفة أم العلوم، حيث انطوت تحتها مجموعة من العلوم والّتي استقلت قيم بعدها وصار لكل علم معاييره ومناهجه في الدِّراسة، وكان للفلسفة منهج خاص بها ومواضيع مميزة في دراستها وأهم ما ارتكزت عليه «مبحث الوجود "الأنطولوجيا"، ومبحث المعرفة " الإبستيمولوجيا"، ومبحث القيم "الإكسيولوجيا".»[3] ومنه كانت القيم فرعا أساسيا في الدِّراسات الفلسفية، كما تتفرع هي الأخرى إلى عدة موضوعات تقوم بدارستها وتحديد طبيعة هذه الأفرع.

[1] – سهام محمد صالح الجراري، الفن والعلم: دراسة تحليلية مقارنة لإيضاح العلاقة بين القيمة الجمالية والقيمة العلمية، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2008م، ص70 .

[2] - سهام محمد صالح الجراري، الفن والعلم: ص70 .

[3] - عبد العزيز محمد، القيم الفلسفية الكبرى: الحق، الخير، الجمال، المؤسسة الثقافية الجامعية، 2008م، ص07 .

لم يكن اهتمام الفلاسفة بموضوع القيمة منذ أجل قريب بل تنبهوا إليه وتناولوه منذ القدم، أي إلى ما يعود إلى العصور الوسطى فقد عُولجت «القيمة في فلسفات العصر الوسيط تحت اسم الخير الأقصى أو الكمال في فلسفة القدِّيس "توما الأكوين" الذي وحَّد بين القيمة العليا والفلسفة الأولى "الله" كما اهتم فلاسفة الإسلام بدراسة القيم واحتلت مكانا بارزا في فلسفاتهم، لا سيما عند "الفرابي" و"ابن سينا" و"ابن مسكويه" و"الغزالي" وفلاسفة الصوفية.»[1] ولعل ثُلَّة هؤلاء الفلاسفة ما يُثْبِت أنَّ القيم كانت بمثابة موضوع أساسي في دراستها، ومما يُلفت الانتباه مصطلح "الخير الأقصى" الذي كان يُشار به إلى القيمة في بادئ الأمر باعتباره من أهمِّها. هذا بالإضافة إلى اهتمام الناحية الإسلامية بهذا الموضوع كَوْن القيم من الخصال التي حثَّ عليها الإسلام.

كما وظهر مجموعة من الفلاسفة الذين حاولوا بدورهم معالجة موضوع القيم، وكان ذلك في «الثلث الأول من القرن العشرين عند "ماركس شللر"، "رنيه لوسن"، "لوى لافيل"، وهؤلاء جميعا يرون أنَّ القيمة وهي موضوع الميول والرغبات والتقديرات، تؤلف ميدانا مستقلا تماما عن ميدان الوجود، وتؤسِّس أحكام خاصَّة تتعلَّق بالتقدير مَرَدُّها إلى الانفعال ولا ترجع إلى العقل»[2]، أي أنَّ هؤلاء الفلاسفة حاولوا إرجاع القيمة إلى الجانب العاطفي بعيدا عن تحكُّم العقل فيها، فالفرد يسعى إلى تحقيق قيمة ما تكون قد استقرت في قلبه لا خُطة جاهزة لإرضاء حاجته الاجتماعية.

وامتد هذا الاهتمام إلى غاية العصر الحديث مع نخبة من المذاهب الفلسفية التي كان «هدفها دراسة المسلَّمات الأساسية للقيمة، فيما يتعلق بالإنسان والعالم والحقيقة، ومن أبرز هذه المذاهب النَّزعة المثالية التي تعطي أولوية فعلية للقيمة، بمعنى أنَّها تنظر إلى القيم باعتبارها مسبقة إمَّا بواسطة مصدر عقلاني أو مصدر إلهي.»[3] ولعلّ هذه الفكرة جاءت منافية لما تطرقنا إليه سابقا في مرد القيم إلى كل من المصدر العقلاني أو العاطفي والشعوري.

---

[1]- **حربى عباس عطيتو، الفلسفة: قضاياها ومشكلاتها، ص349** .

[2]- **المرجع نفسه، ص349** .

[3]- **محمد عزيز نظمي سالم، القيمة الجمالية والالتزام، ج:02، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية، ص04** .

وجهات نظر بعض الفلاسفة للقيمة:

كان لِزامًا علينا أن نعرض لأهم الآراء التي أدلى بدلوها الفلاسفة القدماء وكذا المحدثين في موضوع القيم ومصدرها، ومنه تخيَّرنا بعض الشَّخصيات الفلسفية الرائدة في هذا المجال، وقبل أن نتفحص في هذه الدراسة نمرُّ على أهم الأعلام الذين كانت لهم الأولوية في تضمين هذا الفرع ضمن المباحث الفلسفية « فكان أول من استخدم لفظ القيمة بالمعنى الفلسفي وعمل على نشره هو "لودزهlotze" واللاهوتي "ريتشلritshl" وعلماء الإقتصاد النمساويون بوجه خاص أمثال "مانجرmanger" و"فون وايزرvonweiser" و"فون بوم بافركvon.bhom-bavrek"»[1] وقد كانت هذه النقلة بمثابة البصمة الأولى أو نقطة البداية التي لفتت انتباه الفلاسفة إلى هذا الموضوع.

سنأتي على ذكر مجموعة من الفلاسفة واستحضار أهم أرائهم بداية بـ: « "بروتاجوراس السوفسطائي" قال إنَّ الإنسان مقياس الأشياء جميعا والقيم الأخلاقية قيم نسبية، و"سقراط" الذي ينظر إليه على أنَّه مؤسس علم الأخلاق قديما، أصبحت القيم الأخلاقية عنده عامة وثابتة ومطلقة وقائمة على العقل، أمَّا "أفلاطون" فقد ذهب إلى أنَّ الله هو مقياس كل شيء أي أنَّه الخير المطلق والوجود المطلق، وهو القيمة العليا التي تستمدُّ منها سائر الكائنات قيمتها بحسب قُربها أو ابتعادها عنها.»[2] ونلاحظ التعارض الواضح بين الفلاسفة الثلاثة، "**فالسوفسطائي**" جاء في رأيه على أنَّ القيم نسبية تخضع للمؤثرات الخارجية، أمَّا "**سقراط**" فقد خالفه في كونها ثابتة لا تأثير للزَّمان والمكان عليها، وكان "**لأفلاطون**" رأي مخالف في إرجاع القيمة إلى مصدر وحيد وهو الله عزَّ وجل.

جاء بعض الفلاسفة المحدثين بوُجُهات نظر متباينة بينها «فنجد فكرة القيمة في الفلسفة الحديثة عند "ديوى" الذي يري أنَّ القيمة متصلة بحاجات الكائن الحي ومصالحه، بينما يعتقد "مور" بأنَّ هناك عالم من القيم منفصل تماما عن عالم الواقع، كما نجد "بير جيسون" يُرجع القيمة إلى

[1]- **حربى عباس عطيتو، الفلسفة"قضاياها ومشكلاتها، ص348.**

[2]- **المرجع نفسه، ص348.**

الانفعال فهو مبدأ الحياة وهو منبع الأخلاق والدِّين والحريَّة.»[1] فالحاجة إلى القيمة متصلة بحاجات النَّاس وما تتطلبه الحياة عبر مطبَّاتها، و"**مور**" فيما جاء به سالفا يحيلنا إلى ارتكازه على الأفكار الأفلاطونية في وجود عالم منفصل عن الواقع، ولعلّه يكون عالم الْمُثل الذي لم يُصَرِّح به في قوله هذا.

وجدير بالذِّكر أن نذكر أحد فلاسفة العصر الحديث، الذي شكَّل مبحث القيم عنده مجالا واسعا في دراساته «الفيلسوف الألماني "كانط" هو خير من اهتم بدراسة القيم في كتبه "نقد العقل الخالص" و"نقد العقل العملي" و"نقد الحكم"»[2]وهذا واضح للعيان دون التفصيل فيه والمؤلفات التي جِئْنا على ذِكرها هي مجرَّد بعض الأمثال لما جاء به في هذه الدراسات.

كان مَردُّ القيمة إلى مصدرها من أهم الجوانب التي تناولها النقاد في دراساتهم فحاولوا تفسير علاقة القيمة بالواقع كل حسب مرجعياته «فالماركسية ترجع إلى التطور المادي التاريخي للمجتمع لتفسير القيم، فالقيم لا تفهم بعيدة عن البيئة الاجتماعية، وأنَّ وُجُهات النظر الأخلاقية أو القيم الأخلاقية وهي إنتاج الطبقات الاجتماعية، فالقيمة الإنتاجية هي التي تُحدِث البناء القيمي أو البناء الفوقي متضمِّنة الإيديولوجية والقيم الأخلاقية والدّينية والجمالية حسب تغير البناء اللُّغوي للمجتمع.»[3] كانت النظرة الماركسية مشابهة لنظرة الاتجاه الاجتماعي في تفسير القيم، وذلك يربطها بالمجتمع المادي كونها مجرد إنتاج لأفراد المجتمع.

القيم الفلسفية الكبرى:

ركزَّت الفلسفة في دراساتها على ثلاثة قيم رئيسية تنطوي تحت كل واحدة منها مجموعة من القيم الفرعية وتمثلت في كل من:

[1]- **محمد عزيز نظمي سالم، القيمة الجمالية والالتزام، ص46 .**

[2]- **حربى عباس عطيتو، الفلسفة، قضاياها ومشكلاتها، ص349 .**

[3]– **المرجع السابق، ص05 .**

1/**الحق**: قيمة فلسفية يتناولها علم المنطق الذي يميِّز بين صحيح الفكر وفاسده، واختلفت وُجُهات النّظر حول مفهوم الحق كنظرة "**أفلاطون**" التي ترى أن الحقائق لا وجود لها في العالم المحيط بنا إنَّما وجدت في عالم مغاير هو "عالم المثل"، فهو الذي توجد فيه الأشياء بالذات وعلى الحقيقة.

2/**الخير**: كلمة واسعة وفضفاضة وقد أشار هذا المصطلح إلى معنيين أصليين هما: معنى الكمال ومعنى السعادة، وقد رأى بعض الفلاسفة أنَّ الخير هو القيمة العليا التي ترجع إليه سائر القيم، فقال "**أفلاطون**" بأنَّ الجمال هو بهاء الخير بينما ذهب "**كانط**" إلى أنَّ الجمال والجلال رمزان كاملان لمثال الخير.

3/**الجمال**: اختُلف حول مدلوله فيرى "**جورج سانتيانا**" أنَّ الجمال على نحو ما نشعر به أمر لا يقبل الوصف، فنحن لا نستطيع مطلقا أن نقرِّر ما هو الجميل وما هو معناه، وقد حاولت بعض الفرق من الفلاسفة أن يأتوا له بتعريف على أنَّ الجمال هو الذي تتوافر فيه صفات الكمال والانسجام، التوافق، الوحدة، التوازن، الإيقاع، التناسب، النظام والرشاقة...إلخ.[1]

يمكن القول بوجود علاقة وطيدة ومتينة بين القيم، فلا نستطيع مثلا أن نفصل بين الخير والحق والجمال، ونجعل كل صفة من هذه مستقلة بذاتها عن الأخرى، فالحق يؤدي إلى الخير، والخير بدوره يستند إلى الحق لكي يُحقِّق غايته، والخير هو نفسه الجمال.

مفهوم الإنسانية :

الإنسانية كلمة توحي بمحبة الخير وطيبة القلب والنَّفس، فنحن نقول أنَّ ذاك الشَّخص إنساني كونه قام بعمل يستند فيه إلى الخير بُغية تقديم مساعدة ما، فذهب النقاد قبل تحديد مفردة الإنسانية إلى محاولة الإلمام بالإنسان ومشتقاته، فقد أشار "**الرازي**" إلى أن كلمة "الإنسان" مشتقة من «"الأنيس والمؤانسة "كل ما يؤنس به، "وما بالدار أنيس"، أي أحد و"آنسه" بالمد أبصره و"آنس منه رشد" علمه، و"أنس الصوت" سمعه، وكانت العرب تسمي يوم الخميس "مؤنسا" ويقال للمرأة إنسان

[1]- **ينظر: حربى عباس عطيتو، الفلسفة: قضاياها ومشكلاتها، ص350** .

ولا يقال إنسانة.»[1] فكلمة إنسان قد جاءت على أشكال شتى فعُني بها الرفيق الذي يؤنس في الوحدة، وتختلف من سياق إلى آخر كقولك: "هذا عمل إنساني خالص" و"ذاك الرجل يفيض إنسانية" فكلمة الإنسانية تطلق على الشَّخص للإعلاء من شأنه والتغني بخصاله.

حاولت بعض المعاجم العربية معالجة مفردة "الإنسانية" فكان معجم الرائد من بينها بقوله إنَّ «الإنساني من كان خيِّرا بطبعه مُحبًا إخوانه في الإنسانية، وعمل إنساني: حميد ومفيد وإنسانيات دراسات تشمل الآداب واللُّغات والفنون والفلسفات والدِّيانات والتَّاريخ...وإنسانية البشرية وما اختص به الإنسان من الأعمال الصَّالحة، وفي الفلسفة هي الحياة والنطق والموت.»[2]ومنه ارتبطت الإنسانية بالأعمال الخيرة للفرد، هذا في مفهومها العام أمَّا في الفلسفة فكانت عبارة عن مراحل يمرُّ بها الإنسان بداية من ميلاده إلى وفاته، كما وجاءت في صياغة أخرى ارتبطت نوعا ما بالمجتمع كقولنا إنَّ "تلك الكوارث إنسانية" «نعني أنَّها أصابت الإنسان فتقول كارثة إنسانية ومأساة إنسانية»[3]، ولعلَّ ذلك التفسير يعود في إرجاع الكوارث إلى الإنسان كونه المتسبِّب الأول فيها والمتعرض لها.

وذهب النقاد الغربيون إلى مفهوم الإنسانية أمثال "**سارتر**" بقوله: « الإنسانية الحق هي طريقة الإنسان في الحياة، في الكون أو الوجود، وهي علاقته مع قريبه، نِده وهي أخيرا طريقة وجوده الذاتي.»[4]ومنه فالإنسانية هنا تعني السبيل الذي يسلكه الفرد في التعامل مع المحيطين به وكذا الركائز التي يعتمد عليها في حياته.

وبما أنَّنا تخصُّص دراسات أدبية نقدية ضمن الأدب العربي القديم كان لابدَّ أن نتطرق إلى دراسة أهم القيم التي ميَّزت عرب الجاهلية.

---

[1]- **أحمد النعيمي، الأفاق الإنسانية في الأدب والفكر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، 2008م، ص18 .**

[2]- **المرجع نفسه، ص19 .**

[3]- **المرجع نفسه، ص21.**

[4]- **خليل أحمد خليل، السارترية تهافت الأخلاق والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط02، 1402هـ-1982م، ص63 .**

أبرز قيم الجاهلية

تمثل قراءتنا للقيم في الشِّعر الجاهلي قراءة لموضوع مهم، ردا على الكثير ممن قالوا بأنَّه عصر لا قيم ولا أخلاق له، استنادا إلى تفسيرهم الخاطئ المنطلق من كلمة الجاهلية، فكان لزوما علينا أن نبيِّن كيف أنَّ هذا العهد وهذا المجتمع الّذي لم يكن يدرك الإسلام ولا لما جاء به من مقومات، حافل وزاخر بقيم شتى، كدنا أن نغترب عنها في عصرنا هذا رغم معرفتنا بما أمر به ديننا، يقول "**مصطفى ناصيف**": «أن التطور هو إعادة تشكيل الماضي، وليس الماضي إلَّا الأدب الجاهلي»[1] فمن لا ماضي له لا مستقبل.

ومنه رصدت دراستنا بعض جوانب الحياة العربية ومعتقداتهم وأهم القيم الإنسانية التي مثلتهم والّتي جاءت مفصَّلة ومكرَّرة عبر قصائدهم الطوال وكذا مقطوعات. فجاءت تارة في وصف الممدوحين تقربا منهم وإعجابا بهم وتارة أخرى في التغني والتفاخر بالنَّفس وقد «ربطت بين العرب وحدة معينة في المفاهيم والعادات والقيم، على الرَّغم من تشتُّته في الظاهر على المستوى السِّياسي. فكان من أبرز الملامح الخُلقية التي كوَّنت النفسية العربية : إجلال الواجب العام، الفداء والتضحية، تقديس القوّة والسلطة، والنَّجدة والكرم. التي تُعدُّ من شروط السيادة عند الجاهليين»[2]، فكان أسياد القبيلة يميلون إلى جذب قبيلتهم وعشيرتهم من خلال تعاملهم بهذه القيم.

ومما جاء في بعض الأفكار أن "**كسرى أبو شروان**" سأل عن قيمهم فقال: « العزُّ والشرف والمكارم وقرى الضيف، وإذمام الجار، وإجارة الخائف، وأداء الحمالات، وبذل المهج في المكرمات. وهم سراة الليل وليوث الغيل...والحماية للذمار.»[3]ومنه يسعى المجتمع الجاهلي إلى التَّمسك بهذه الخصال بُغية الوصول إلى المكان المرموق وحبا في تقدير الآخرين له وجِبِلَّة على ما كان عليه آبائهم،

[1]- رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي، مكتبة الآداب علي حسن، ط1، 1429هـ-2008م، ص05 .

[2]- نوال مصطفى ابراهيم، الليل في الشعر الجاهلي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة 2009م، ص67.

[3]- المرجع نفسه، ص68.

وقد حاولنا أن نستشفّ بعض هذه القيم انطلاقا من الشّعر الجاهلي باعتباره الحجر الأساس للدِّراسة بما حمله لنا من أيام العرب وأحوالهم.

أولا: الكرم.

يمثل عند الجاهليين في نواحي شتَّى، فلم يقتصر على إكرام الضيف وإطعامه بل تعدَّى ذلك إلى إكرام النَّفس وإكرام الخيل وغيرها، وستكون بدايتنا مع إكرام الضَّيف فكان العرب يستبشرون بالضَّيف ويُبالغون في إكرامه مُدركين حاجة هذا الضَّيف إلى الضِّيافة نسبة إلى حياتهم الصّحراوية الوعرة القائمة على التِّرحال والتَّنقل، ومنه وضعوا في حُسبانهم نفاذ زاده، وأكثر الأوقات التي عُرفت بالضِّيافة هي ساعة اللَّيل يقول "**بن ضمرة النهشلي**" في وصف كرمه وعطائه:

وَطَارقِ لَيْل كُنْتُ حَمَّ مَبِيته إذَا قَلَّ في الحَي الجَميعُ الرَوَافدُ

وَقُلْتُ لَهُ: أَهْلًا وَسَهْلًا ومَرْحَبًا وَأَكْرَمْتُهُ حَتَى غَدَا وَهُوَ حَامدُ.[1]

فمن خلال البيت نستنتج أنَّ "**النهشلي**" قد بالغ في إكرام ضيفه وهذا ما تُحيلنا إليه جملة "وهو حامد"، وأنَّ العرب كانت تفرح وتستبشر برؤية الضَّيف في قوله " أهلا وسهلا ومرحبا". فيبيِّن لنا الشَّاعر أن الجدب والقحط الذي أصاب قريته لم يحل بينه وبين كرمه، وهذا ما يوضحه لنا الشطر الثاني من البيت الأول.

ومن صفات الكرم عند العرب أنَّهم كانوا يوقدون النَّار في اللَّيل كإشارة يستدل بها المستغيث فِعل "**طريف بن مالك**" يقول "**امرؤ القيس**" مادحا إياه:

لَنِعْمَ الفَتَى إلَى ضَوْء نَارِهِ طَرِيفُ بْنُ مَالِكٍ لَيْلَةَ الجُوعِ والخِصْر

إذَا البَازِلُ الكَوْمَاء رَاحَتْ عَشِيَةً تُلَاوذُ منْ صَوْت المُبْسِينِي بالشَجَرْ.[2]

[1]- **رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي، ص69 .**

[2]- **المرجع نفسه، ص70 .**

يمدح الشَّاعر في هذين البيتين المضيف ويبين كيف أنَّه كان بمثابة المنجد للمستضيف. وينسب النَّار إليه باعتبارها: « رمز الحياة في بحر المصير الغامض ليلا، وهو مصباح ينجو على ضوئه النَّاس من ليل أزماتهم، فالممدوح يقف في مواجهة أعداء الحياة كالجوع والظلام والشَّقاء، والشّعراء يرسمون للمدوح صورة متكاملة فهو الملاذ والمخلص.»[1] كيف لا والكرم يُعدَّ من توابع الشَّجاعة وأهم مبدأ من مبادئ السِّيادة عند العرب، فالكريم يضع في حسبانه أنه سيأتي عليه يوم ما ويقع في موضعه مستبشرا أنَّه سيجد من يرد عليه صنيعه.

وبلغت شدَّة الكرم حدَّ الإيثار فقد كان المضيف يحرص على راحة ضيفه حتى لو كان ذلك على حساب أسرته في قول "**الطفيل الغنوي**":

لِحَافِي لِحَافُ الضَيْفِ والبَيتُ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِمْنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَعُ

أُحَدِّثُهُ إنَّ الحَـــــديثَ منَ القِرَى وَتكْلَأُ عَيْني عَيْنَهُ حينَ تَهْجَعُ.[2]

فوصل الكريم في درجة ضيافته أن ساوى بينه وبين الضَّيف في ممتلكاته، بل وتنازل له عنها خلال مكوثه لديه.

وممن اشتهر باستضافته أيضا "**المقنع الكندي**" في قوله:

لَيْسَ العَطَاءُ منَ الفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَليلُ.[3]

فكلمة الكرم الحق تطلق على من هو بأمس الحاجة إلى يد العون وكرم الآخرين عليه ومع ذلك لا يبخل بشيء على من يقصده.

---

[1]- **رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي ، ص70 .**

[2]- **المرجع نفسه، ص80 .**

[3]- **عبد الفتاح محمد حسين الدراويش، جواهر الشعر العربي "موسوعة شعرية لجميع المناسبات"، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 2007م، ص474 .**

كان "**حاتم الطائي**" من أشهر الشعراء في الجاهلية كرما، والذي وصل صيته إلى درجة أن تُضرب به الأمثال، فقيل "أكرم من حاتم"، وقد جاءت الروايات على شدَّة كرمه: « وكيف كان يهلك ماله حتى لا يبيت هو وزوجته وأطفاله جائعين، ثم تقدم عليه امرأة تشكو جوع صبيانها فيقوم إلى فرسه التي لم يبق عنده غيرها فيذبحها ويطعمهم منها، ويطعم سائر الحي ولا يذوق هو شيء وهو أشدُّ جوعا»[1]، فكان لا يردُّ على من يلومه لإسرافه في كرمه، وكيف أنَّه يحرم نفسه وعائلته في سبيل إرضاء ضيوفه.

فكانت زوجته تُكثر من لومها عليه وهذا ما جاء في قصائده بقوله:

وَقَائلةً أَهْلَكْتَ في الجُودِ مَالنَا وَنَفْسَكَ حَتَى ضَرَّ نَفْسُكَ جُودُهَا.[2]

بمعنى أنَّه يكثر ويصرف في الاستضافة والإكرام إلى درجة تعود عليه أحيانا بالمضرَّة.

وإذا تحدثنا عن الكرم يذهب مفهومنا مباشرة إلى الكرم المادي كالمال مثلا، غير أنَّه في الأصل «ليس الَّسخاء بالمال، بل عتق السُّلالة ورفقة النَّسب...فكريم الأصل لابدَّ أن يكون كريم الفضل أي سخيا.»[3] أي ليس الكريم من يُقَسِّم أمواله هنا وهناك بغية التكبُّر أمام الآخرين، بل ينبغي أن يكون نابعا من قلبه وخصلة من خصال قيمه حبا فيه لا تظاهرا أمام النَّاس.

وقد اشتهرت بعض الأسر العربية بالكرم وراثة أبا عن جد، فكان ذلك موضوعا للتغني في أشعارهم كقول "**السموأل**":

صَفَوْنَا فَلَمْ نُكَدِرْ وَأَخْلَصَ سِرُنَا إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وفُحَولُ

عَلَونَا إلى خَيْرِ الطُهُورِ وحَطَنَا لوَقْتِ إِلى خَيْر البُطُون وتَزُولُ

[1]- **محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ج: 01، دار القومية للطباعة والنشر، 240 .**

[2]-**حمدي محمود منصور، دراسات في الشعر الجاهلي والإسلامي، دار الفكر، ص18 .**

[3]- **المرجع نفسه، ص234 .**

فَنَحْنُ كَمَاء المُزْن مَا في نِصَابنَا كُهَامٌ ولاَ فيـــــنَا يُعَدُ بَخيلُ.[1]

راح الشَّاعر يفخر بنفسه وأسرته لامتلاكهم هذه القيمة، فينفي صفة البُخل عنهم ويذكر شرف سُلالته و رِفعة نسبه.

وقد ذهب البعض إلى تفسير كثرة الكرم في تلك الفترة تفسيرا اقتصاديا «فما من قوم أغنياء إلَّا وهم عرضة لأن يصيروا فقراء في أشدِّ الحاجة إذا أصابتهم السَّنة، أي القحط، والذين يقوم معظم تراثهم على إرشاد القوافل وضمان سلامتها لا يأمنون أن تتحول طرقها عن أراضيهم وهي قد تحوَّلت مرارا عديدة في التَّاريخ قبل الإسلام.»[2] ومنه كان الكرم يحتل منزلة عالية في فضائلهم الاجتماعية وكذا في خدمة مصالحهم، فالتِّجارة معروفة بتذبذبها والعربي الجاهلي كان يُدرك ويَعي أنَّه قد يتعرض للخسارة في أي وقت، ومنه كان يُكثر في كرمه حتى يُلاقى بالمثيل إذا كان بحاجة لذلك.

لاحظنا كيف أنَّ العرب قد بالغوا في كرمهم وأموالهم، ولكن ذلك لم يكن إلَّا جانبا من جوانب الكرم، فقد بلغت بهم قيَمهم إلى درجة إكرام النَّفس، فكانوا يضحُّون بأنفسهم في سبيل بلوغ غاية ما ويعدُّون أنَّ تلك التَّضحية نوع من أنواع الكرم وهو الإكرام بالنفس فكانوا يفضلونه على إكرام المال والمادة يقول أحد الشُّعراء في ذلك:

هَلْ الجُودُ إلَّا أَنْ تَجُودَ بأَنْفُسٍ عَلَى كُلِ مَاضِي الشَفْرَتَيْن قَضِيبُ.[3]

وقال "**عمرو بن الأهثم**":

إنَّكَ لَنْ تَنَالَ المَـــجْدَ حَتَى تَجـــــــُودَ بمَ يَضِنُ به الضَميرُ
بنَفْسكَ أَوْ بـــمَالكَ في أُمُور يَـــــــــهَابُ زُكُوبَهَا الوَرْعُ الدَثُورُ.[4]

---

[1]- **محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ص234.**

[2]- **المرجع نفسه، ص235.**

[3]- **حسني عبد الجليل، النفس في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، 2009م، ص94 .**

[4]- **المرجع نفسه، ص94 .**

هنا يبيِّن لنا الشَّاعر أن الجود والكرم الحقيقي يكمن في التَّضحية بالنَّفس، وهو أمر لا يَقوى على فعله إلَّا من تمتع بقلب شجاع وأيقن مدى أهمية ومكانة الكريم.

ولم يقتصر الكرم على الجانب الإنساني فقط، بل تعدَّى ذلك إلى إكرام الحيوان كالفرس الذي احتل مكانة عظيمة في الجاهلية، والذي أُلفت فيه قصائد كثيرة يمدحونه فيها ويُعدِّدون خصاله، فكان من أكثر الحيوانات التي قرَّبها إليه وكرمها، قال "**أبو سراج الضبي**" في إكرام فرسه:

مُعْرَبَةٌ أُجَلِّلهَا ردَائي إذَا مَا أَلْجَأَ الضُّرَ كُلَيْبَا.[1]

فالشَّاعر قد صبَّر نفسه على تحمُّل قساوة البرد وتخلى عن ردائه لفرسه إكراما له، وهذا ما يدُّل على تقديره له، كيف لا وقد كان مساندا له في كافة حروبه ورفيقا له في خروجه للصيد، ووسيلة للتنقل عند التِّرحال.

كما أُشتهر "**عدي بن أمية**" بإكرام جواده قائلا:

يَا لَيْتَ شعْري وَلَيْتَ أَهْلَكْتُ إرَمًا هَلْ يُجْزِينِي بِمَا أَبْلَيْتُهُ الفرنُ

أَقْـــــفَيتُهُ دُونَ أَهْلي مَايُصَّرُ به لَهُ حَليـــــبُ وَتَارَاتٌ لَهُ لَبَنُ.[2]

تبيِّن لنا هذه المقطوعة كيف أنَّ الشَّاعر كان يَحرم أبنائه وأهله من الحليب واللَّبن ويقدمها لفرسه، ردا لجميلها ومساندتها له وقت الحاجة.

وبالإضافة إلى إكرام الفرس ذهب الجاهلي إلى إكرام الناقة وقرَّبها منه، بل وصلوا أن أعطوا لها قيم «وآمنوا بها في الحيوان قبل أن يؤمنوا بها في الإنسان...لأنَّهم شاهدوا بعض سلالات الإبل تمتاز

[1] – **حمدي محمود منصور، دراسات في الشعر الجاهلي والإسلامي، ص.30**

[2] - **المرجع نفسه، ص31** .

فعلا عن السلالات الأخرى»[1]، فأكرموها وأحسنوا معاملتها وقرّبوها منهم فمثلها مثل الفرس كانت عونا لسيِّدها في الحروب والتِّرحال.

ومن أشهر الشعراء الذين اشتهروا بكرمهم في الجاهلية «كعب بن مامة الأيادي، أوس بن حارثة الطائي، وهرم بن سنان، وعبد الله بن حبيب العنبري، وعبد الله بن جدعان التيمي، وقيس بن سعد»[2] وغيرهم الكثير.

فنلاحظ تلك اللُّحمة التي جمعت بين أفرادهم وكيف كان الإنسان الجاهلي يفضل ويقدم مصلحة أخيه على مصلحته، بل حتّى أنَّه كان يتضرَّر من شدَّة كرمه واستضافته لضيوفه ويصبر على ما أصابه من جوع ونقص في الأموال، ويحرم أهله أحيانا من أجل إرضاء من طرق بابه.

ثانيا: الصِّدق.

يعتبر الصِّدق من أهم الركائز التي يقوم عليها المجتمع، ومن أفضل الخصال التي ينبغي أن يطهِّر بها الفرد قلبه، وقد اهتم النقّاد والدارسون به وجاؤوا على تعريفات شتَّى تخيّرنا منها ما يلي:

لغة: ضدَّ الكذب وهو الإخبار عن الحقيقة أو فعل ما يدل عليها.[3]

اصطلاحا: قول الحق في مواطن الهلاك، فهو خصلة أخلاقية تدُّل على الإنسان الذي جعل قاعدة لنفسه وهو قول الحقيقة وعدم إخفاء الوضع الفعلي للأمور عن الآخرين وعن نفسه.[4]

فالصِّدق من أهم القيم التي يجب على المرء أن يلتزم بها ويتَّخذها ضمن أولوياته في اتِّخاذ قراراته، وتظهر كلمة الصِّدق مختلفة بعض الشيء عن الحق، وأنَّ الفرد لا يُعتبر صادقا إلَّا إذا قال قولا

[1]- حنا نصر الحتي، الناقة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان–، ط01، 2007م، ص115 .

[2]- مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الفنية الحديثة، مصر الجديدة في 10 فيراير 1968م، ص45 .

[3]- ينظر: يعقوب المليجي، الأخلاق في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1405هـ–1985م، ص197 .

[4]- ينظر: سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، ص125 .

حقا، وفي نفس الوقت يكون قد أيقن في داخله أنَّه مؤمن بما قاله «فقد أنكر القرآن الكريم عن المنافقين الَّذين قالوا حقًا، ولكنه ليس موافقا لما يضمرونه في أنفسهم.»[1] وهذا ما جاء به الله عزَّ وجل في آياته متحدثا عن المنافقين وادعائهم الصِّدق في قوله تعالى:﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾ [المنافقون،الآية:01]، فكلامهم يدُّل على حقيقة لا غُبار عليها وهو أنَّ محمَّدًا "عليه الصلاة والسَّلام " رسول الله تعالى، غير أنَّهم في باطنهم لا يؤمنون بذلك، وإنَّما هي مجرد كلمات تتردَّد على شفافهم تُخفي تحت طيَّاتها مصالحهم الشَّخصية.

وقد وردت كلمة الصِّدق في عدة مواضع بداية بالقرآن الكريم، الذي أكدَّ فيه الله عزَّ وجل على مدى أهمية وضرورة التقيد به «فجاءت في القرآن الكريم 96 مرة.»[2] يتحدَّث فيها تارة عن الصِّدق فيجيء به بصيغة مباشرة، وتارة أخرى يأتي بنقيضه الكذب ناهيا عنه، يقول عزّ وجل: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾.[سورة الإسراء، الآية:81]. وقوله أيضا﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ ﴾[سورة مريم، الآية:41].

فالله عزَّ وجل يحبُّ من يصدق القول ويبتعد عن الطرق الملتوية، وذلك أنَّه جعل هذه القيمة من قيَم الأنبياء والرُّسل، به تقدم الرسالة على أكمل وجه وقد كان عِمادها، وأكدَّ الرَّسول "صلَّى الله عليه وسلم" على ضرورة الصِّدق ودعوة النَّاس إليه في قوله: {إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَالبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَأَنَّ الرَجُلَ لَا يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وأَنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُور

[1]- طه أحمد الزيدي، المسؤولية الأخلاقية في الإعلام الإسلامي، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434هـ-2013م، ص104 .

[2]- نجوى صابر، النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان-، ط01، 1410هـ-1999م، ص68.

والفُجُور يَهْدِي إِلَى النَّار، وَأَنَّ الرَجُلَ لَا يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَابًا.}[1] فهو فاتحة الأمور وبداية الخير وبه يسلك الفرد طريقه إلى الجنَّة وبدونه يكون مصيره الهلاك.

لقد جاء بعده في ذلك "**أبو بكر الصديق**" رضي الله عنه في قوله: {عَلَيْكُم بِالصِّدْقِ فَإِنَّه مَعَ البِرِّ فِي الجَنَّة، وَإِيَّاكُم وَالكَذَب فَإِنَّهُ مَعَ الفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ، واسْأَلُوا الله عَزَّ وجل الْمُعَافَاة ...}[2] يصف "**أبو بكر**" رضي الله عنه مكانة الصِّدق وعاقبة الصدِّيق، وينهى عن الكذب ويوضح آخره تأكيدا لما جاء به رسولنا الكريم.

وقد برزت هذه القيمة في الشِّعر الجاهلي إضافة إلى القيم الأخرى كقيمة خلقية إنسانية كانت محل جذب للنفوس، فقد أدركت الجاهلية مدى أهمية الصِّدق والتَّعامل به يقول "**أفنون التغلبي**":

وَلَا خَيْرَ فِيمَا يَكْذِبُ المَرْءُ نَفْسَهُ وَتِقْوَالِهِ لَلشَيْءِ يَا لَيْتَ ذَالِيَا

فَطَأ مَعْرِضاً إِنَّ الحُـــتُوفَ كَثِيرَةٌ إِنَّكَ لاَ تَبْـقَي بِنَفْسِكَ بَاقِيَا.[3]

فالصِّدق عندهم مرتبط بالقيم الاجتماعية فبه يُبنى مجتمع متماسك مترابط فيما بينه، وبالكذب تُفكَّك تلك الروابط وتحلل العلاقات، لذا جاء شعرائهم عن نهي هذا الأخير.

تعدَّدت أشكال الصِّدق وطرقه كل حسب مجالاته، وأنواعه مختلفة جاءت كالتالي:

-الصِّدق في الوعد أن لا يقول المؤمن غير ما يعمل ولا يعمل غير ما يقول.

-الصِّدق في القول وفيه يخبر به المرء عن نفسه وغيره.

-الصِّدق في أداء الشَّهادة وعدم الجُنوح إلى قول الزور.

---

[1]- **زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل بيروت، ط01، 1408هـ-1988م، ص 174** .

[2]- **حافظ بن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، تح: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للنشر والتوزيع، ص45** .

[3]- **حسني عبد الجليل، النفس في الشعر الجاهلي، ص45** .

-الصِّدق في نقل الأفكار والآراء العلمية.[1]

كأن يكون الإنسان صادقا مع الله عزَّ وجل قبل كل شيء ويصدق مع نفسه ومع الآخرين.

ثالثا: الشَّجاعة.

الشَّجاعة صفة خُلقية امتاز بها العرب في الجاهلية، فكانت الشَّجاعة في الحروب والإقدام على المخاطرة بالنفس في سبيل الحفاظ على كرامته وشرفه، واعتُبرت من أسمى وأنبل الصِّفات التي تَسلَّح بها العربي قديما، فكان للشجاع مكانة مرموقة بين العرب ومنجدهم والمدافع عن حقوقهم، وكان الجبان بينهم يُنظر إليه كنظرة النساء فيُشبههن وقت الشدائد والمحن في خوفهن، وعرفت الشَّجاعة على أنَّها «قوة في عزيمة النفس تدفع إلى الإقدام بعقل في المخاطرة بعمل أو قول لتحصيل خير أو دفع شر.»[2] فالإقدام في أمر ما ينبغي أن يكون بروية وبإعمال العقل، وعلى الفرد أن يدرس سبيله قبل الخوض فيه لا أن يُظهر شجاعته تباهيا أمام العديان في فعل لا يقوى عليه.

وكثيرا ما ترتبط الشَّجاعة بساحات الحروب وحمل السِّلاح وخوض الغوار غير أنَّها ليست «مقصورة على حمل السِّلاح ومشاهدة الحروب، بل أنَّ كثير من الأعمال اليومية تحتاج إلى شجاعة لا تَقِّل عن شجاعة الجنود، فكل من الأطبَّاء وعُمال المناجم والممرضات ورجال الإطفاء وأمثالهم شُجعان يتحمَّلون الأخطار.»[3] ومنه فالصَّبر على الفقر وتحمُّل صِعابه شجاعة، والوقوف والتصدِّي لجبروته شجاعة، فالشَّجاعة تكون في الأقوال والأفعال.

وقد ذهب البعض إلى ربط الشَّجاعة باللَّيل الَّذي يزيد الأمور تعقيدا وصعوبة، نظرا للطبيعة الصَّحراوية الوعرة الَّتي كان يجد الإنسان صعوبة في التعامل معها نهارا فكيف ذلك في اللَّيل وقد

[1]- ينظر: يعقوب المليجي، الأخلاق في الإسلام، ص198-199 .

[2]- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج:02، دار القلم، دمشق، طبعة 05، 1420هـ-1999م، ص586.

[3]- أحمد أمين، الأخلاق، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1431هـ، ط03، ص153 .

احتدم الظلام، وممَّا يزيد الأمور سوءا الوحوش الضارية التي عُرفت بها بيئتهم فكان الخروج ضمن هذا الوضع «يُضفي على صاحبها أبعادا بُطولية، فحين يتحدَّث الجاهلي عن شجاعته وشدَّة بأسِه وقوَّة احتماله وصبره وتحدِّيه الصِّعاب، يصف جرأته على خوض المجهول في ليلة تُثير الهلع والفَزَع في النفوس.»[1] وشجاعة منه أن يخوض هذه التَّجربة ضمن تلك الظروف دون الاستناد إلى علامة يهتدى بها في طريقه.

يقول في ذلك "**الأسعر الجعفي**":

وَمِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةٌ مَـــــزْؤُدَةٌ غَبْرَاءُ لَيْسَ لِمَنْ تَجَشَمَهَا هُـدًى

كَلَّفْتُ نَفْسِي حَدَهَا وَمِيرَاسَهَا وعَلِمْتُ أَنَّ القَـوْمَ لَيْسَ لَهُمْ غِنًى.[2]

فيصف الشَّاعر تلك اللَّيلة التي أقدم على الخروج فيها بـ "الغبراء" التي لا يقوى أحد على الْمُضي فيها، وكلمة "كلَّفت" توحي لنا أنَّ الشَّاعر بذل جهدا فيها ولم تكن بتلك السهولة.

والشَّجاعة الحقَّة لا تظهر في المواقف البسيطة كالنزاعات والخصومات، بل تكون في الحروب العارمة، والرخص بالنفس عندهم أسمى درجات الشَّجاعة يقول "**عدي بن رعلاء الغساني**" :

فَصَبَّرْنَ النُفُوسَ لِلْطَعْنِ حَتَى خَرَتِ الخَيْلُ بَيْنَنَا فِي الدِمَاءِ

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيِتٍ إِنَّمَا المَيِتُ مَيِتُ الأَحْيـــــاءِ

إِنَّـمَا المَيِتُ مَنْ يَعِشْ ذَلِيلًا سَيِئًا بَالُهُ قَلِيلُ الرَجَـــــــاءِ.[3]

---

[1]- **نوال مصطفي إبراهيم، الليل في الشعر الجاهلي، ص70 .**

[2]– **المرجع نفسه، ص70**

مزؤدة: مفزعة، تجشمها: كلف نفسه السير فيها، حدها: شدتها وصعوبتها، مراسها: شدة علاجها.

[3]- **حسني عبد الجليل، النفس في الشعر الجاهلي، ص97 .**

يصف الشَّاعر حال الحرب والدِّماء التي تزهق في ساحتها، مُبينا أنَّ الميِّت ليس من يستشهد في خِضَمِّها بل من يرضى بالذل والمهانة وسُلبت منه العزَّة والأمل والسَّعادة، ويقول في ذلك "**المرقش الأكبر**":

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَومَ الرَوعِ أَنْفُسَنَا وَلَو نُسَام بِها فِي الأَمْنِ أَغْلِينَا.[1]

يُبيِّن أنَّ النَّفس ترخص في سبيل البحث عن عزَّة النَّفس وكرامتها.

ومن أشهر الشّعراء الّذين عُرفوا بإقدامهم وقت المحن والشَّدائد "**عنترة بن شدّاد**"، الّذي عَظُم شأنه وسط قبيلته بفعل شجاعته وإقدامه على حمايتها والمنافحة عنها من خصومها يقول:

بَكرتْ تُخَوفُنِي الحُتُوفُ كَأَنَّنِي أَصْبَحْتُ عَن غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزَلِ

فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ المَنِيَةَ مَنْـــهلِ لابدّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المَنْهَـــــلِ

فَاقَنِي حَيَاءِك لا أُبَالَكِ واعْلَمِي إِنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أَقْتُـــــلِ.[2]

يتضح لنا مدى استهانة الشَّاعر بالموت واحتقاره وارتباطه بالحروب وتلذذه بالقضاء على خصومه من خلال قوله "إنيَ امرؤ سأموت إن لم أَقتل".

ومن الشّعراء الفرسان في الجاهلية «ربيعة بن مكدم وملاعب الأسنة وزيد الخيل وعامر بن طفيل وعمر بن معد يكرب وعمر بن كلثوم ...»[3] وهؤلاء ثُلَّة من شجعان كُثُر، فكانوا يُسجلون أمجاد قومهم بروائع القول.

---

[1]- **حسني عبد الجليل، النفس في الشعر الجاهلي، ص94** .

[2]– **مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص38** .

[3]– **المرجع نفسه، ص39**

فالشّجاعة على هذا الأساس لها أهمية كبرى في صُنع مصير الفرد والجماعة، وردا على الأعداء في سبيل حِفظ العِزَّة والكرامة وحفاظا على الوجود، ولعلَّ من أسباب تمسك الجاهليين بها بيئتهم القائمة على الحروب والنِّزاعات بين القبائل.

رابعا: التعاون.

الحياة العربية القديمة كانت مبنية على ظروف صعبة في طريقة عيشهم، ضمن النطاق الصَّحراوي الوعر، فكان الفرد لا يَقوى على أن يستقر لوحده وهذا سبب وجيه دفعهم لإنشاء قبائل تعتمد كل قبيلة على نظام التَّعاون فيما بينها، للحفاظ على سلامتها واستقرارها كأن يتعاونوا مثلا على محاربة العدو أو مواجهة ظروف الطبيعة وهو أمر حتمي لا اختياري فالتَّعاون «عملية اجتماعية مجتمعة، وذات أهمية بالغة جدا في استقرار الحياة الاجتماعية، فيه تتكامل الجهود وتجد القوَّة اللازمة لبلوغ الغايات العامة المشتركة»[1] حتى يَعُمَّ بينهم رابط الأخوة والصداقة ويُحسُّ كل فرد بأنَّ له ظهر يستند عليه وقت الحاجة.

فعلى الفرد أن يلتزم بقيمة التَّعاون باعتبارها «قوام الحياة الإنسانية كان فردا أم جماعة، وكما يكون التَّعاون بين الأفراد والجماعات يكون بين الدول.»[2] فالأمم تحتاج إلى التَّعاون وتبادل ما بينهم الخيرات، كأن يتعاون أفراد الأسرة الواحدة على بناء منزل ما أو تتعاون دولة مع دولة أخرى في محاربة الفقر مثلا، أو في نشر الحضارة أو الاستكشاف.

وقد حثَّنا ديننا الحنيف على التَّعاون لِمَا يعود علينا به من فائدة كقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات، الآية: 13]، فالله عزَّ وجل في آيته الكريمة يحث الشعوب

[1]- صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، ص24 .

[2]– نصير فريد محمد واصل، أداب العلاقات الإنسانية في الإسلام، المكتبة التوفيقية، ص34 .

والقبائل على التَّعارف الذي يشمل التَّعاون بين النَّاس. وقد جاء ذلك في مواطن كثيرة نذكر منها قوله تعـــــالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾[المائدة، الآية: 02]، يُبيِّن الله عزَّ وجل لعباده أن التَّعاون ينبغي أن يكون فيم يحبه ويرضاه، ويعود بالمنفعة على النَّاس، فيأخذ القوي بيد الضعيف والغني بيد الفقير، وهذا ما أكدَّه رسولنا الكريم {مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَة والله في عَوْنِ العَبْدِ مَا دَامَ العبد في عَونِ أَخِيه.}[1] فالفرد دائما بحاجة للآخرين، فمن غير استطاعته أن يكتفي بما يقوم به بنفسه فلابدَّ أن يستعين بغيره أحيانا.

وللتعاون أنواع كانت كالتالي:

–تعاون طوعي: وفيه يقرر الفرد نوع التعاون الذي يريد أن يقوم به ولمن سيقدمه.

–تعاون اجباري: كتعاون الجنود مع المدنيين في إنقاذ ضحايا الزلزال مثلا وهو تعاون يقوم على التعاطف.[2]

ومما اشتهر به العرب في الجاهلية خاصية التعاون بين أفراد القبيلة ظالمة كانت أو مظلومة يقول "**دريد بن الصمة**" في ذلك:

وَهَلْ أَنَا إِلاَ مِنْ غُزَيَةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غُزَيَةُ أَرْشُدِ.[3]

فالشَّاعر ابن بيئته وقبيلته مستعد أن يُضحي بحياته في سبيل خدمتها، ومنه شكلّت القبيلة فيما بينها نسيجا مترابطا يخدم بعضه بعضا، ويتعاونون فيما بينهم لخدمة مصالحهم.

[1]- **نصير فريد محمد واصل، أداب العلاقات الإنسانية في الإسلام، ص94 .**

[2]-**ينظر: صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، ص213 .**

[3]- **سامي يوسف أبو زيد + منذر ذيب كفافي، الأدب الجاهلي، ص26 .**

خامسا: الصبـر.

الصبر قيمة خُلقية مثلى، قلما نجد الفرد يتمتع بها ويمتلكها، فالإنسان معرض إلى خيبات الأمل، فهذه الدُّنيا مليئة بالمطبَّات والشدائد التي ينبغي للمرء أن يصبر عليها حتى يتجاوزها. ويعرف الصبر:

لغة: الصبر من صَبِرَ فهو صابرُ وصبور وتصبَّرَ.

اصطلاحا: هو المنع والحبس عن الجزع، واللِّسان عن التشكي على ما يقتضيه العقل والشَّرع، وهو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله.[1]

ومنه كان الصبر بأن تصبر على ما لا يحبه الله تعالى وتصبر على ما قد يصيبك بقلب صبور قنوع. ولما كان للصبر من أهمية في تطهير النفوس واستقامتها جاء الله عزَّ وجل على الحث عليه بقوله تعالى:﴿ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[سورة لقمان،الآية:17]، ويقول في ذلك أيضا سبحانه وتعالى:﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[سورة العصر، الآية:03].ففي هذه الآية الكريمة يُبيِّن الله عزَّ وجل مكانة الصبر، وبأنَّ الّذين يتمتعون بهذه الصفة لهم أجر عظيم ومنه لا سبيل للإنسان سِوى التحلي بالصبر « فالدنيا دار البلاء واختبار وتمحيص، فلا تدوم على حال واحدة مع الشدَّة والعسر أو السعة واليسر، وإنَّما تتغير بتغير الأحوال بمشيئة الله وحكمته.»[2] فما باليد من حيلة على ما يصيبنا وليس بأيدينا أن نرجع الزمن للوراء ونغير ما أصابنا سوى الصبر والتحلي بالقوة في تجاوز المحن. وما تلك الشدائد إلا امتحان من الله عزَّ وجل يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا

[1]- ينظر: سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، ص89

[2]-طه أحمد الزيدي، المسؤولية الأخلاقية في الإعلام الإسلامي، ص16 .

لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [سورة البقرة، الآية:157] ومنه يدرك الفرد بأنّ الله عزَّ وجل قد وضعه تحت اختبار حتّى يقيس مدى إيمانه، فيتحلى به ويعي بأن الله لن يتخلى عن عباده ولابدَّ أن يأتي وقت تنجلي فيه تلك المصائب.

كما كانت هذه الصفة كسابقيها من القيم التي اهتم بها الجاهليون، والتي دعى الشعراء إلى التَّمسك بها يقول "**طرفة بن العبد**":

وَتَشْكِي النَفْسُ مَا أَصَابَ بِهَا فاصْبِرِي إِنَّكِ مِنْ قَوْمٍ صُبَرِ.[1]

يأمر الشَّاعر النفس بالصبر على ما تعانيه، ويفسِّر ذلك بكونه من قوم قد عرفوا بصبرهم وقت الشدَّة.

وقد جاء"**عبيد بن الأبرص**" هو الآخر في تصبير نفسه على ما أصابها بقوله:

صَبِر النَّفْسَ عِنْدَ كُلِ مُلِم إِنَّ فِي الصَبْرَ حِيلَةُ المُحْتَالِ.[2]

فالشَّاعر ليس بيده حيلة سوى أن يحتال عليها ويصبرها.

وللصبر أنواع عديدة:

كأن يكون جسديا «فيتحمل المشاق بقدر القوّة البدنية وهو المعبِّر على فعل أو أفعال كالمرض و الجرح والقطع.»[3] ولعلَّ خير مثال على ذلك هو صبر سيِّدنا "**أيوب**" رضي الله عنه على ما ابتلاه الله من مرض، دون أن يشتكي حاله أو ينطق بكلمة فقد وصل به صبره أنَّه أصبح يُضرب

[1]- **حسني عبد الجليل، النفس في الشعر الجاهلي، ص74** .

[2]- **المرجع نفسه، ص76** .

[3]-**سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، ص93** .

به المثل، فيُطلق على من يتحمَّل الشدائد أنَّه قد صبر "صبر أيوب" وهو نوع من المبالغة، فلم نجد إلى حد يومنا هذا شخص صبرا كصبره وتحمَّل ما أصابه دون أن يقنط ويشكو حاله.

أما الصّبر النفسي فهو «الصبر على المكروه والصبر على الموت وتقلب الحدثان.»[1] كأن يصبر الفرد على موت أقرب النَّاس إليه، أو أذية النَّاس له كما حدث مع سيِّدنا وحبيبنا محمَّد "صلى الله عليه وسلم" في أذية الكفار له.

ويجوز أن نُقسّم الصّبر أيضا إلى نوعين: كأن نقول صبرا على ما نحب والذي يدخل ضمن ملذَّات الدنيا، كحبنا لتجميع الأموال ولو كانت بطرق غير شرعية، وصبر على من نكره كأن نصبر على نقصها.

ومنه كان الصبر «ثمرة من ثمرات الفهم عند الله، وتدبير حكمته العظيمة في تصريف الأمور، وامتحان عباده في هذه الحياة، وثمرة من ثمرات الرضى عند الله فيما تجري به مقاديره، ولذلك كان الصبر ضياء.»[2] فالصبر مفتاح الأمور به يحقق الإنسان غاياته، ويصل إلى مراده، وهو مقدمة لجميع أنواع الخير والّتي أهمّها البعد عن منكرات الدُّنيا ونيل رضى الله عزَّ وجل.

سادسا: الوفاء.

في عصرنا هذا لابدَّ لأي شخص أن يوقع وثيقة ما يؤكد بها للطرف الآخر أنَّه سيقوم بذلك العمل، أمَّا عند العرب القدماء فقد كانت الكلمة أقوى وأصدق من أي وثيقة وعندما يَعِدْ أحد الأفراد صديقه أو عدوه يوفي له بذلك فالكلمة هي بمقام الشّرف عندهم ومن يقطع وعدا لابدَّ أن يسدِّده دون أن يتردَّد أو يتراجع في ذلك.

[1]- **سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، ص93** .

[2]– **عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص307** .

وقد عُرف الوفاء على أنَه «ضدَّ الغدر، وقيل ما الوفاء؟ قال: قضاء حق واجب، وإيجاب حق غير واجب مع رقة أنسية، وحفيظة مرعية»[1]، أي سداده سواء كان ذلك قطع على حق أو من دونه.

وقد تمسَّك العربي بكلمته إلى درجة التقديس يقول "**الدسوقي**": «كان العربي يخشى أن يعرف بالغدر، وتشيع عنه هذه الخلة بين قومه وبين سواهم من القبائل، لأن الغدر ونقض العهد، وإخلاف الوعد يجعله رجلا لا يعتمد عليه في النَّائبات فيهمله قومه. ويتحاشاه طلاب الغوث والنَّجدة، وينفر منه أعداؤه وأصدقائه، وهيهات لرجل يتَّصف بهذه الصِّفة، وتكون حاله كما ذكرت أن ينبه اسمه، أو يكون من ذوي الرأي والجاه في القبيلة، وهو ما يحرص عليه كل ذي مروءة.»[2] ومنه التزم أهل العرب بالوفاء، حفاظا على مكانتهم وهيبتهم بين النَّاس، خشية منهم أن يوصفوا بالغدر الذي يحطُّ من مكانتهم بين العرب.

وقد نوَّه الله عزَّ وجل على مكانة ودرجة هذه القيمة بقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾[الإسراء، الآية: 34]. تُبيِّن لنا الآية أن الله عزَّ وجل قد قسم العهد ضمن مسؤوليات الفرد وعدَّه واجب عليه.

يكفينا أن نعلم بأن ربَّنا قد أوصانا بالالتزام به في قوله تعالى:﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾[التوبة، الآية 111]. فما أعظم أن تكون لنا قيمة من قيم الله عزّ وجل نلتزم بها ونعظمها حتى ننال رضوان الله تعالى. وللوفاء معاني كثيرة توفي باحترامك للوالدين وأن تحترم وطنك، وتوفي حقه عليك فتكون سند له وقت الحاجة، وأن توفي باحترام رباط القرابة وتصل ذي القربى.

[1] – سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، ص257.

[2] -صالح مفقودة، القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الأول ،نوفمبر 2001م، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة–الجزائر–، ص193 .

وإذا عدنا إلى قصائد الشعراء القدماء نجد أنَّ الشعراء مثلهم مثل بقية القوم كانوا إذا وعدوا أوفوا باعتبار الوفاء «الفضيلة التي هيمنت على قلب الشَّاعر وعلى لسانه، فوفائه للعهد ووفائه لدينه ولأهله ولقومه وجدناه يرعى العهود ويقدس الوفاء.»[1] فكان العربي يولي أهمية بالغة لهذه الصفة، ويحرص على التَّمسك بها. وقد جاء في التفاخر بها ضمن قصائدهم يقول "**زهير بن أبي سلمى**":

وَإِمَا أَنْ يَقُولُوا: وَقَدْ وَفَيْنَا بِذِمَّتِنَا وَعَادَتُنَا الوَفَاءُ.[2]

فالشَّاعر قد جُبِل على الوفاء، وصارت عادة من عاداته والوفاء به واجب. فأصبحت هذه القيمة موضوعا للتفاخر قال في ذلك "**زهير**" مادحا "**الحارث**":

أَوْ صَالَحُوا فَلَهُ أَمْنٌ، وَمُنْتَفَذُ وَعَقْدُ أَهْلِ وَفَاءٍ، غَيْرُ مَدْخُولِ.[3]

فيصف "**الحارث**" أنَّه وفيٌّ لوعوده، وأنَّه يؤمن للكلمة التي يقولها ويقصد بها هنا العهد وعدم خذلانه. وقد تحدَّث "**زهير**" أيضا عن الوفاء في معلقته الشهيرة بقوله:

وَمَنْ يُوفِ لاَ يُذْمَمْ وَمَنْ يُفِضِ قَلْبَهُ إِلى مُطْمَئِنِ البِرِ لاَ يَتَجَمْجَمْ.[4]

فالوفاء بالعهد يُبعد عن صاحبه ذم الآخرين له، ومنه كان الوفاء قيمة خالصة. تنبع من نفس الإنسان مما حرصوا عليه كل الحرص وتمسكوا به.

سابعا: التواضع

خلق الله عزَّ وجل البشرية وأكرمها عن باقي خلقه وساوى بينهم، ودعى إلى عدم التفرقة بينهم، فلا فضل لأبيض على أسود، ولا جميل الوجه عن قبيحه، ولا الغني عن الفقير، بل ينبغي علينا

[1]- سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، ص257 .

[2]-حنا نصر الحتي، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان–، 1428هـ–2007م، ص82

[3]-المرجع نفسه، ص225

[4]-المرجع نفسه، ص51 .

أن نتعامل معهم على حد سواء تعاملا ينبع من شعور الإنسانية ضمن نطاق التواضع لا ترفعا على الأقل درجة منهم وتكبرا عليهم.

فالتواضع من أسمى السِّمات الخلقية التي ينبغي أن نتخذها في تعاملنا، ويمكن تعريفة على المستوى:

***اللغوي**: مأخوذ من معنى " الحط والإلقاء " وهو ضدّ الرفع. ووضعه يضعه وضعا والتواضع التذلل.[1]

***الاصطلاحي**: بأن يتجنَّب الفرد المباهاة بما فيه من الفضائل والمفاخرة بالجاه والمال.[2]

ومعنى هذا أنَّه مهما بلغ بنا الشأن وأكرمت علينا الحياة بخيراتها لابدَّ لنا أن لا نترفع على من شحذت عليه وشاءت الأقدار أن تختبره بنقصها. فالتواضع هو «عمود من أعمدة البناء الأخلاقي...فكلَّما كان الإنسان متواضعا غير مترفع ولا متعال على الآخرين. كان محبوبا قريبا من النَّاس ومحققا لنفسه فضيلة الانسجام مع النفس ومع المجتمع، وكان قريبا من رضوان الله وطاعته وظله.»[3] فالله عزَّ وجل يحب الإنسان المتواضع ويكتب له الخير أنَّ كان في عمله وحياته ويكسب محبة الآخرين له لحسن معاملته، فيعود ذلك بالمنفعة عليه وعلى مجتمعه كأن يُساهم العالم ويتواضع في خدمة مجتمعه.

نهى الله عزَّ وجل رسوله الكريم عن التكبّر بقوله: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾[سورة الإسراء: الآية 37] .فقد كان نبيُّنا الكريم في قمة التواضع، رغم مكانته العالية، فهو نبي الله عزَّ وجل، وكانت هذه الصفة من أهم الصفات التي ساعدته في أداء رسالته وفي تقرب النَّاس منه.

---

[1]-**ينظر: سلمى سلمان علي، القيمة الخلقية في الشعر الجاهلي، ص141**.

[2]- **ينظر: المرجع تفسه، ص141** .

[3]- **طه الزيدي، المسؤولية الأخلاقية في الفقه الإسلامي، ص120**.

ونهى الله عزَّ وجل عن التكبّر والتعالي في آيته الكريمة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[غافر، الآية: 60]. فقد توعّد الله سبحانه وتعالى عباده المتكبّرين بالعقاب العظيم.

وجاء على منواله الرَّسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن التعالي في قوله: {مَنْ كَانَ فِي قَلْبِه حَبَة خَرْدَل مِنْ كبر، كَبَّه الله لِوَجْهِهِ فِي النَّارِ.}[1] يبيِّن رسولنا الكريم خطر التكبّر والتعالي، حتى لو كان بسيطا يؤدي إلى غضب الله عزَّ وجل.

وأُعتبر التواضع «من أكبر الكبائر ويشهد على ذلك ما ذكر في العديد من المرات ما وقع للشيطان الذي رفض أن يسجد لآدم وظن أنَّه أسمى من أي رجل.»[2] فحلَّت عليه لعنة الله سبحانه وتعالى وباء بالفشل.

ومن أمثلة ذلك في العصر الجاهلي ما جاء به "**عنترة بن شدّاد**" في قوله:

أُسَوِدُ ذَا الفِعَالِ ولَا أُبَالِي عَلَى أَنْ لاَ أَسُودَا إِذَا كُفِيتُ.[3]

فالكريم يميز الأفعال الحميدة ويقدر صاحبها، ولا يرى إشكال في تسويده و هذا من تواضعه.

ومن خلال ما تطرقنا إليه سابقا يتَّضح لنا أن مفهوم القيمة لا يتجلى في مفهوم واحد وإنَّما تختلف من مجال إلى آخر، ولكن يمكن لنا الإجمال على أنَّ القيمة هي كل ما يوليه الفرد اهتماما ويضعه في أولوياته، مع العلم أنَّ هذه القيم تخضع للتغيّر الزماني والمكاني، وهذه النقطة بالذَّات قد شكلّت محور اختلاف بين الفلاسفة والعلماء كـ "**سقراط**" مثلا الذي يرى على أنَّ القيمة لا تخضع

[1]- **سعيد إسماعيل علي، الإسلام والغرب، ص257.**

[2]-**محمد المعراجي، عمر المعراجي، الفتى المسلم، ج1، ط2، الجزائر، 1952م–1954م، ص69 .**

[3]– **يحيى بن مدرك الطائي، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، رواية: هشام بن محمد الكلبي، تح: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ص100 .**

لهذين العاملين، في حين يرى "**أفلاطون**" أنّ المصدر الوحيد للقيمة هو الله عزَّ وجل. أمَّا عن علاقة الإنسان بالقيمة فقد رأينا أنَّها علاقة وطيدة، من خلاله يعرف الإنسان مكانة الأشياء المحيطة به وتصنيفها من حيث أهميتها ومنه تكون الحياة أكثر تنظيما وتوازنا.

تختلف القيم على أنواعها من: كرم، وصدق، وشجاعة، تعاون، صبر، وفاء، وتواضع، وكلها قد عرفتها الجاهلية واتسمت بها، وغيرها الكثير فهذه ليست إلَّا نماذج من قيم كثر ممَّا يبيِّن لنا طيب أعراقها واتصافها بالخصال الحميدة التي قد حثَّ عليها إسلامنا الكريم فيما بعد، وما دلنا على ذلك هو تلك الأبيات الشعرية التي خلفها لنا الشعراء والتي سنستدل بها فيما هو أتٍ.

الفصل الثاني

تمظهرات القيم الإنسانية

في الشعر الجاهلي

كثيرا ما يتعرّض شعراء العصر الجاهلي لسوء الظّن والتّجريد من القيم ومحامد الخصال لانتمائهم للعصر الجاهلي، وعدم إدراكهم لما جاء به صدر الإسلام من أخلاق وقيم، ولكن ينبغي لنا أن لا نطلق أي أحكام اعتباطية دون أن نكون على اطلاع بأحداثه وطبيعته. وحتى نتمكَّن من ذلك لابدَّ لنا أن نعود إلى الشِّعر الجاهلي الذي يوضح لنا عن أهم ما تميزت به تلك الفترة على مستوى عاداتهم وثقافتهم وكل جوانب حياتهم، وإن كان هناك عتب على نقص في ذكر جانبهم الدِّيني إلَّا أنَّ أهم ما يهمنا في هذا الصدد هو تبيان تلك الفضائل التي اتصف بها أصحاب العصر الجاهلي.

ومنه انتقينا بعض النماذج التي كانت محل استهواء وجذب لنا، فأخذنا أربعة نماذج من شعراء العصر الجاهلي، محاولين بذلك استنباط تلك القيم من خلال قريحتهم الشعرية.

ولعلّ ما يلفت الانتباه أكثر هو فئة الشّعراء الصّعاليك الّذين عُرفوا بتمرّدهم على قوانين القبيلة وخرجوا عنها، متخذين من البراري والصَّحاري ملجأ لهم. وإن قلنا صعلوك فأوّل ما يتبادر إلى أذهاننا هو ذلك الشّخص الّذي يسعى إلى النَّهب والسَّلب وسفك الدِّماء، والّذي لا يمكن أن يكون له علاقة بالقيم الإنسانية، غير أن شاعرنا الذي نحن بصدد دراسته يعد من أشهر الشّعراء الصّعاليك في تلك الفترة ينفي ذلك من خلال مقطوعاته وقصائده بالخصال الّتي ضمَّنها إيَّاها، والّتي لا يحيد عنه في حياته، ألا وهو الشَّاعر الجاهلي المعروف باسم "**الشّنفرى**".

أمَا في ما يخص شاعرنا الثاني فهو شاعر عُرف بكرمه وطيب أخلاقه فأصبح يُضرب به المثل في العطاء، فقد كان كريما لدرجة أنُّه كان يُفضل أن يبيت على لحم بطنه على أن يَرُدَّ أحد السائلين له، هو "**حاتم الطائي**". أمَّا الشَّاعر الثالث هو "**زهير بن أبي سلمى**" الذي عرف بشعره المحكم وحِكمه التي تنبع عن تجربة واسعة في الحياة، فهو أحد الشعراء الَّذين كان لهم الشَّرف في تعليق قصائدهم على أسوار الكعبة فكانت أشهر قصائده.

"**عنترة بن شداد**" هو الآخر شاعر جاهلي لا يقل شهرة عن سابقيه، إلَّا أن أكثر ما طغى عليه هو تلك البسالة والإقدام والحَمية العصبية اتجاه القبيلة، فلقب بـ"**عنترة** "الفحل لشجاعته ومنافحته عن قبيلته رغم ما لقيه منهم من ظلم واستبداد.

أولا: الشّنفرى

شاعر جاهلي اختلف النقاد والرواة في تسميته فمنهم من يقول إنَّه «عمرو بن مالك الأزدي اليمني وقيل إنَّه عمرو بن براق نفسه»[1]، غير أنَّ البعض الآخر خالفوهم في ذلك باعتبار أن اسمه الحقيقي «ثابت بن الأواس الأزدي ولقب بالشنفرى لعظم شفته»[2]، ولكن على الرغم من اختلاف الرواة وتعدُّد الأسماء الّتي جاؤوا بها لهذا الشَّاعر إلَّا أنَّها قد اجتمعت على أمر واحد كونه من «أزد ثنوءة الّذين عاشوا في منطقة السّراة بين مكّة والمدينة»[3] أي أنَّه أزدي الأصل.

لم تكن تسمية "**الشّنفرى**" هي الجانب الوحيد الذي غاب عن الرواة، وإنَّما كان مولده هو الآخر غير مؤكد في أمره ومنه حدِّد ميلاده بأنَّه «قريب العهد بالإسلام ذلك أنَّ "الشّنفرى" كان على صلة بشاعر صعلوك أسلم فيما بعد وهو "أبو خراش الهذلي"»[4]، فلم يحدد تاريخ ميلاده بدقة وإنَّما كان ذلك محاولة في قياس الرواة لمن عايشوا شاعرنا "**الشّنفرى**" .

عاش "**الشّنفرى**" بعيدا عن قومه الحقيقيين وذلك بعدما «نقل وهو غلام صغير إلى قوم آخرين وهم بنوا شبابة بن فهم»[5] على يد أمِّه بعد مقتل أبيه، تربَّى "**الشّنفرى**" عند بني فهم مدة وجيزة ثم نُقل مرة ثانية إلى قوم غريبين عنه وهم «بني سلامان بن مفرج وهم من "أزد" أيضا ولم تكن

[1]-**حسن جعفر نور الدين+ رشاد برس، موسوعة الشعراء الصعاليك: الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ج2، 1468هـ-2008م، ص21 .**

[2]-**محمد حسن أبو ناجي، الشنفرى: شاعر الصحراء الأدبي، عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص17 .**

[3]-**المرجع نفسه، ص18 .**

[4]-**المرجع نفسه، ص19 .**

[5]-**عبد الحليم الحنفي، شرح ودراسة لامية العرب للنشنفرى، مكتبة الأداب، ط1، 1429هـ-1-2008م، ص35 .**

حياته عندهم حياة العزّة التي يحظى بها أبناء المكان، وإنَّما حياة الدخلاء على القوم.»[1] وذلك بمعاملة أهل القبيلة له، خاصة أخته التي تربّت معه.

وباعتباره شخص غريب عنهم فقد «سَبَتْ بنو سلامان "الشّنفرى" وهو غلام فجعله الذي سباه في بهمته يرعاه مع ابنة له.»[2] والتي رفضت أن تعتبر هذا الشّاعر بمثابة أخ لها. فبعدما علم "**الشّنفرى**" بحقيقة أمره بأنَّه ليس من قوم بني سلامان، قرَّر أن يَنْظمَّ إلى فرقة الصّعاليك والّتي كانت نتيجة لخروج الشّعراء عن نظام قبيلتهم، ولعلَّ ممَّا ساعد أيضا على ظهور هذه الحركة هو «طبيعة بلادهم الجغرافية من حيث جدب معظمها ووجود الفقر...ووجود النظام القبلي ورسوخه في نفوسهم من حيث الطّرد والخلع والإبعاد والتَّبرأ من الخارجين على نظامه وأعرافه.»[3] فمن المعروف أنَّ للجاهليين عزَّة نفس ولا يرضون بالمهانة تحت أي ظرف كان.

حمل "**الشّنفرى**" ضغينة اتجاه قوم بني سلامان لأسرهم له ولقتلهم والده وقد أقسم «بحلفان على أن يقتل مئة رجل...فقتل تسعة وتسعين»[4] ثأرا له فلم يحالفه الحظ في إكمال العدد وذلك لوفاته، تربَّى "**الشّنفرى**" مع زعيم الصّعاليك "**تأبَّط شرا**" وتعلّم على يده أساليب الصّعلكة،[5] فوجد فيه كل المقومات التي تجعل منه صعلوكا بامتياز فقد «ضُرب به المثل في سرعة الركض ومدى القفز، قيل كانت الخيل لا تلحق به كما ضُرب به المثل في الحدق والدَّهاء»[6]، ممَّا خوله بأن يكون من أشهر أشهر صعاليك العرب وقطّاع الطّرق، ومن أشهر شعرائهم وأجودهم شعرا.

[1]- **عبد الحليم حنفي، شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى، ص34** .

[2]- **محمد حسن أبو ناجي، الشنفرى، ص17** .

[3]- **المرجع نفسه، ص27** .

[4]- **حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص171** .

[5]- **ينظر: محمد حسن أبو ناجي، الشنفرى، ص11** .

[6]- **يوسف عطا الطريفي، العصر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2006. ص117** .

وقد عُرف شاعرنا هذا بصدق شعره وبأسلوبه الفني «من الخشونة اللَّفظية الّتي تمثل اللغة البدوية الجاهلية أصدق تمثيل، ثمَّ تلك القوّة التعبيرية الّتي تجعل أسلوبه أسلوبا محكما لا رخاوة فيه»[1] من خلال تعبيره عن حياته وظروف معيشته القاسّية وكذا نفسيته وأماله وفتكه بأعدائه وتغنيه بخصاله كالشَّجاعة والصبر على مكرهات الحياة.

على الرغم من تلك الأوقات العصيبة الّتي كان يمرُّ بها الشّعراء الصّعاليك في اكتساب قوتهم اليومي من خلال النَّهب والسَّلب إلَّا أنَّهم «كانوا كرماء ذوي سماحة وعطاء، ثمَّ إنَّهم كانوا يطعمون في الغنى والثروة كالأثرياء.»[2] مع العلم أنَّهم فقراء يُشكلون جماعات متمرّدة تسعى إلى البحث عن حريَّة العيش وتعيش على ما تكسبه من غارات على القبائل.

القيم الإنسانية في الخطاب الشّعري لدى الشّنفرى:

من خلال تتبع القيم الّتي جاء بها "**الشّنفرى**" ضمن أشعاره ارتأينا أن تكون "لامية العرب" أول نماذجنا محاولين استقراء بعض القيم من خلال دراسة بعض أبياتها، ولكن اكتشفنا فيما بعد غير متعمدين أنَّنا ضمن تحليل شبه كامل لها. نظرا للكم الهائل الذي تزخر به من قيم ومكارم الأخلاق، وهذا ما دفع برسولنا الكريم "صلَّى الله عليه وسلَّم" لقوله:{عَلِمُوا أَوْلَادَكُم لَامِيَة العَرَبِ فَإنَّ فِيهَا القَنَاعَةَ والشَّجَاعَة.} [3] والمقصود من وراء ذلك هو تعليم أجيالنا لتلك الأخلاق النبيلة الّتي فصَّلها لنا "**الشّنفرى**" ضمن قصيدته. وقد أوصى بها بعض الصّحابة أمثال "**عمر بن الخطاب**" رضي الله عنه بقوله:{عَلِّمُوا أَوْلَادَكُم لامية العَرب، فَإنَّهَا تُعَلِمُهُم مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ.}[4] وهذا ما سيتّضح ضمن دراستنا فيما بعد.

[1]-**يوسف خليف، الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، دط، دت، ص238** .

[2]-**محمد حسن أبو ناجي، الشّنفرى، ص29** .

[3]-**المرجع نفسه، ص107** .

[4]-**المرجع نفسه، ص107** .

وقبل أن نشرع في تتبع تلك القيم لابدَّ أن نتحدَّث عن النِّقاش الّذي دار حول لامية العرب محاولة في إرجاع نسبها إلى غير "**الشّنفرى**"، فقد ذكر بعض الرواة أنَّها ترجع إلى شاعر آخر فمنهم من قال إنَّها «لحماد الراوية أو لخلف الأحمر.»[1] وقد شمل هذا التشكيك كل من المستشرقين وكذا العرب.

فقد اهتم الكثير من الأدباء والنقّاد بدراسة هذه القصيدة أمثال «الخطيب التبريزي والزمخشري وترجمها جورج يعقوب إلى الألمانية وترجمها ريد هوس إلى الإنجليزية كما ترجمت إلى البولونية والإيطالية...وتقع في 68 بيتا على بحر الطويل.»[2] وهذا ما يعكس أهمية لامية العرب.

في حين أرجعها بعض المستشرقين إلى "**خلف الأحمر**" استنادا إلى "**ابن دريد**" في قوله: «حدثني "أبي بكر ابن دريد" أنَّ القصيدة المنسوبة للشّنفرى الّتي أولها "أقيموا" له وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول، والهاء تعود على خلف.»[3] ومنه فقصيدة اللّامية تعود إلى "**خلف الأحمر**". في حين نفى ذلك المستشرق "**كارل بروكلمان**" وأرجع هذه القصيدة إلى صاحبها "**الشّنفرى**" [4] وبذلك أرجعها إلى قائلها الحقيقي.

1/الشّجاعة:

تحدَّث "**الشّنفرى**" في لاميته عن شجاعته وشجاعة رفاقه الصّعاليك في غاراتهم وحروبهم ضمن مقطوعات متفرقة فكانت أول مقطوعة بداية بالبيت السابع الذي قال فيه:

وَكُلُ أَبِي بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أُوْلَى الطَرَائِدِ أَبْسُلُ.[5]

---

[1]-حسن جعفر نور الدين+رشاد برس، موسوعة الشّعراء الصّعاليك، ص 22 .

[2]-المرجع نفسه، ص23.

[3]-أبو إسماعيل ابن القاسم القالي البغدادي، الأمالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م، ص151 .

[4]-ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971م، ص107.

[5]–محمد حسن أبو ناجي، الشّنفرى، ص120 .

فالشَّاعر يُظهر بسالته وشجاعته في هذا البيت، ويبيِّن كيف أنَّه يترفع عن الذُّل والضّيم موضحا إقدامه أثناء مطاردته لأعدائه.

ثم يعود في البيت العاشر ليتغنى بشجاعته مرةً ثانية بقوله:

وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْس جَازِيًا بِحَسْبِي وَلَا فِي قُـــرْبِه مُتَعَلِلُ

ثلَاثَةُ أَصْحـــــــابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وَأَبْيضُ إصْلَـيتُ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ الحِسَانِ يُزَيُنُهَا رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ عَلَيهَاَ وَمُحَمَـلُ

إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّت كَأَنَّهَا مُرْزَأَةٌ ثَكْـــــــلَى تَرِنُ وَتُعَوِلُ.[1]

يذكر "**الشّنفرى**" مجموعة من الأسلحة الّتي يتّخذها عونا له في حروبه ونزاعاته، وهي ثلاثة أشياء أولها قلبه المليء بالشجاعة والإقدام وثانيها سيفه الّذي يكون دائما في استعداد، وثالثها قوسه الّتي أطلق عليها اسم "صفراء عيطل". موضحا أنَّها كافية له عن كل مساندة والّتي تغنيه عن طلب يد العون فهو يرى أنَّه «ليس بحاجة لمن يؤازره في وقت الشدائد غير هذه الأسلحة، وهذا ما يثبت شجاعته هو الآخر في كونه قادر على أن يتحدَّى المصائب بمفرده»[2]، دون إذلال نفسه بأن يقلِّل من كرامته ويطلب العون من الآخرين.

حياة الصَّعاليك مبنية على شنِّ الغارات والحروب والنَّهب والسَّلب للحصول على ما يلزمه من زاد يقول "**الشّنفرى**" في إحدى غاراته على إحدى القرى:

فَأَصْبَحَ عَنِّي بِالغُمَيْصَاءِ جَالِسًا فَرِيقَـــانِ مَسْئولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ

فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْتُ: أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ؟

[1]-محمد حسن أبو ناجي، الشّنفرى، ص122 .

[2]-المرجع نفسه، ص122 .

فَلَـمْ يَكُ إِلَّا نَبْأَةً ثُمَّ هَوَّمَتْ فَقُلـْنَا قَطَاةُ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ

فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍ لِأَبْرَحُ طَارِقا وَإِنْ يَكُ إِنْسًا مَالَهَا الإِنْسُ يَفعَلُ.[1]

يتحدث "**الشّنفرى**" عن حيرة وتساؤل هؤلاء القوم بعد أن اطلعوا على ما تركه من خسائر ومخلفات، باحثين عن سبب هذا الخراب ومن كان وراءه وكيف استبعدوا على أن يكون الإنسان هو من فعل ذلك «فقد تعودوا أنَّ الغارة يقوم بها جماعة أو عدد كبير، أمّا أن تكون بهذه الصورة الخاطفة التي لا يشعر بها أحد، ومع ذلك تترك هذه الآثار الخطيرة فهذا شيء غير مألوف.»[2] ممَّا جعلهم يظنون أنَّ هذا من فعل الحيوانات البريَّة ومن فعل الجنّ، فهو أقدر على فعل ذلك.

لعلَّ شجاعة "**الشّنفرى**" وعدم تخوفه من المصائب هو الأمر الأساسي الّذي دفعه إلى أن يتمرّد وينتمي إلى جماعة الصَّعاليك، فهي ميزة لابدَّ أن تكون معروفة في قلب كل صعلوك حتّى يقوى على مواجهة ما يعتريه من مصائب الحياة يقول:

وَلَا حَرَقِ هَيقٍ كَأَنَّ فُـــــــؤَادَهُ يَظَـــــلُّ بِهِ المَـكَاءُ يَعلُو وَيَسْفُلُ

وَلَا خَـــــــــالَف دِرَايَةٍ مُتَغزِّلِ يَروحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَـــــــــحَلُ

وَلَسْتُ بقلِ شَرَّهُ دُونَ خـــــــيره أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتـــــــاجَ أَعْزَلُ

وَلَستُ بِمِحْيَارِ الظَّلَامِ إِذَا نخَتْ هدى الهَوجَلِ العَسيفِ بَه مَاءُ هَوجَلُ

إِذَا الأَمْعَزُ الصَّوانُ لاَقَى مَـنَاسِمِي تَطايرَ مِنْه قَادِحٌ وَمُغَلّـــــــــــلُ.[3]

[1]-عبد الحليم حنفي، شرح ودراسة لامية العرب، ص28-29 .

[2]-المرجع نفسه، ص30 .

[3]-محمد حسن أبو ناجي، الشّنفرى، ص123 .

فيرى أنَّ شجاعته على غرار القوم، فينفي الخوف عن نفسه، ويصف الخائف ضمن صورة بالغة البراعة، حيث يشبِّه قلب الشخص الخائف بقلب معلقٍ بطائر يرتفع به تارة وينخفض تارة أخرى، كناية عن تسارع دقات قلبه، مع ذكر ميزة أخرى يتمتع بها وهي سرعته في الجري.

لا يكاد شعر الصّعاليك يخفى من ذكر بسالتهم والافتخار بها، وها هي قصيدة أخرى "**للشّنفرى**" تحمل في طياتها أبياتا لشجاعته ورفاقه، يقول في ذلك:

مُصَعْلَكَةٌ لَا يَقْصُرُ السِتْرَ دُونَهَا وَلَا تَرْتَجِي لِلبَيتِ إِنْ لَمْ تَبِيتِ

لَهَا وَفْضَةٌ فِيهَا ثَلَاثُونَ سَيْحَفًا إِذَا آنَسَتْ أُولَى العدِي اقْشَعرَتِ

وَتَأْتِي العِدَى بَارِزًا نِصْف سَاقِهَا تَجُولُ كَعِيرٍ العانَةِ المُتَلَفِتِ

وَإِذَا فَزِعُوا طَارَتْ بِأَبْيضَ صَارِمٍ وَرَاحَتْ بِمَا فِي جُفْرِهَا ثُمَ سَلَتِ

حُسَامٌ كَلَونِ المِلْحِ صَافٍ حَدِيدُه جَرَازُ كَأَقْطَاعِ الغَدِيرِ المُنْعَتِ

تَرَاهَا كَأَذْنَابِ الحَسيلِ صَوَادِرًا وَقَدْ نَهَلَتْ مِنَ الدِّمَاءِ وَعَلَتِ.[1]

تحمل هذه الأبيات شجاعة الصّعاليك وجاهزيتهم لأي طارئ يمكن أن يلحق بهم، فهم دائما على أُهبة الاستعداد فطبيعة عيشهم هي ما تفرض عليهم ذلك وتعرضهم لفقدان حياتهم في أي وقت.

في كل هجوم أو غارة يقوم بها "**الشّنفرى**" يضع في حسبانه أنَّه قد يكون آخر يوم له، ولكن هذا الأمر لا يدفعه للتراجع، فهو يستقبله برحابة صدر في قوله:

إِذَا أَتَتْنِي مَنِيَتِي لَمْ أُبَالِهَا وَلَمْ تَذَرْ خَالَاتِي الدُّمُوعَ وَعَمَتِي

أَلَا لَا تَقْدُنِي إِنْ تَشَكَيْتُ خِلَتِي شَفَانِي بِأَعْلَى ذِي البَرِيقَينِ عَدُوَتِي.[2]

[1]-**محمد حسن أبو ناجي، الشّنفرى، ص147** .

[2]-**المرجع نفسه، ص149** .

لا يشكل الموت هاجسا بالنسبة للشَّاعر فهو لا يبالي به وأكثر ما يؤنسه في ذلك هو كون الشَّاعر وحيد في هذه الحياة، فلا عائلة له ولا خالة ولا عمَّة سوف تحزن عليه وتذرف دموعا من بعده، ثم يقول إنَّه قد ارتكب من الجرائم والقتل كفاية ما يجعله يألف الموت ويكسِّر هاجس الخوف عنده.

2/إباء الضيم:

للشَّاعر الجاهلي عزَّة نفس وكرامة لا يرضى بالذل أو الإهانة ولا يحب أن يكون مستعبدا تحت أي ظرف كان، وشاعرنا "**الشّنفرى**" هو الآخر كباقي هؤلاء الشّعراء، تخير أن يخرج عن قبيلته ويدخل عالم الصّعاليك على أن يبقى تحت رحمة قوانين قبيلته الّتي رأى أنَّها ظلم واستعباد له، خاصَّة بعد مقتل أبيه، فتخيّر أن يتعايش مع ظروف الحياة القاسية في الفلاة وسط الوحوش الضَّارية على أن يعيش مسلوب العزَّة والكرامة يقول:

أَدِيمُ مَطَالَ الجُوعِ حَتَى أُمِيـــــتَهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأُذْهَلِ

وَأَسْتَفُ تُربَ الأَرْضِ كَي لَا يَرى له عَلَيَّ مِنَ الطُولِ امْرُؤٌ مُتَـــــطَوَلُ

وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَامِ لَمْ يبــقَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَـدَيَّ وَمَـــــأْكلُ

وَلَكِنَ نَفْسًا حُرَّةً لَا تُقيـــــــــمُ بِي عَلَى الضِيمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحـــــوَلُ.[1]

يصور لنا الشَّاعر حالة الجوع ضمن صورة فنية فيتخيَّل أنّ الجوع شيء محسوس يتقاتل ويتصارع معه حتّى يقضي عليه معتمدا في ذلك على النسيان فالشَّاعر يفضل أن «يستفّ التراب

[1] – **حسني عبد الجليل، الأدب الجاهلي: قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ– 2001م، ص115** .

على أن يكون للإنسان نعمة عليه لأنَّ نفسه أبية لا ترضى المذلّة»[1]، فلا يقبل صدقة من أي أحد ويترفع بنفسه عن كل ضيم.

حيثما تتوفر الحرية وظروف العيش وراحة البال، يكون أنسب موطن للاستقرار، وحيثما تُسلب منك حقوقك وكرامتك وعزَّة نفسك تضطر للرحيل حفظا لها جاء في ذلك:

أَقِيمُوا بَنِي أُمَيَّ صُدُورَ مَطِيـــكُمْ فَإِنِّي إِلَى أَهْلٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَتْ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقمِرٌ وَشُدَّتْ لِطَيَّاتِي مَطَايَا وَأَرْحـــلُ

وَفِي الأَرْضِ مَنْأَى للكَرِيم عَنِ الأَذَى وَفيهـــــــا خَافَ القِلَى مُتَعَزِّلُ

لَعَمْرُكَ مَا بالأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ سرَى رَاغبًا أوْ رَاهبًا وَهُوَ يَعقـــلُ.[2]

فهنا تخيَّر الشَّاعر أن يفارق قبيلته وأهله لإحساسه بالظلم والمهانة، وشدَّ زمام الرحيل حفظا منه لماء وجهه متخذا من الأرض مأوى ومن الوحوش أهلا له، وفضَّل على أن يعيش وحيدا بعيدا عنهم على أن يكون مسلوب العزَّة بينهم.

3/القنـاعة:

كما يقال: "القناعة كنز لا يفنى" وشاعرنا هذا قنوع بما قسَّمت له الحياة، فإن أغدقت عليه فهو خير له وإن أنقصت فلا بأس في ذلك يقول:

وَإِنْ مُدتْ الأَيْدِي إِلَى الزَادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذَا جشع القَومِ أَعْجَلُ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِبَسْطَةٍ عَنْ تَفَـــــضُّلٍ عَلَيهِم وَكَانَ الأَفْضَلُ المُتَفِضِـلُ.[3]

---

[1]-أحمد محمد الحوفي، في صحبة الأدب القديم، ص44 .

[2]-محمد حسن أبو ناجي، الشّنفرى، ص68-69 .

[3]-عبد الحليم حنفي، شرح ودراسة لامية العرب، ص11 .

فهنا الشَّاعر يصف حاله وهو في وسط جماعته أثناء المأكل، ويصف نفسه بأنَّه قنوع لا يجشع أثناء الطعام، فهو يأكل بروية حتّى وإن تسابق باقي رفاقه على الطعام، فيرى أنَّ سلوكه ذاك لا يدل على كونه أفضل منهم.

تتراوح ظروف "**الشّنفرى**" تارة بين الغنى وتارة بين الفّقر والحاجة بقوله:

وَأَعْدِمُ أَحيَانًا وَأَغْنَى وَإِنَّمَا يَنَالُ الغِنَى ذُو البُعْدَةِ المُتَبَذِلُ

فَلَا جَزَعٌ بِخِلـَّةٍ مُتَكَشِفٌ وَلَا مَرَحٌ تَحْتَ الغِنَى أَتَخَيلُ.[1]

فهذان الأمران سوان عند الشَّاعر ولا تُشكل فارقا عنده، فلا يهمه إن كان غنيا وليس ممن يتفاخر بنفسه وماله، ولا يجزع ويخاف إن مسّه الفقر خاصة أنّ طبيعة حياته تعرضه له في أكثر الأوقات.

4/ الصبر:

شاعرنا "**الشّنفرى**" كان واحدا ممن واجهتهم مطبَّات الحياة الوعرة، فاختار الصبر كسلاح يتمسَّك به في المضي نحو المستقبل يقول في ذلك:

وَأَطْوِي عَلَى الخِمْصِ الحَوَايَا كَمَا انطوت خُيُـــوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتلُ

وَأَغْدُو عَلَى القُوتِ الزَهيدِ كَـــــمَا غدا أَذلُّ تَهَـــادَاهُ التـــــنَائفُ

غَدَا طَاوِيَا يُعَـــــــــارِضُ الريحَ هَافيًا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويعسِلُ

فَلَّمَا لَوَاهُ القُـــــــوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّه دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّـــــــلُ.[2]

[1]-**محمد حسن أبو ناجي، الشنفرى، ص125** .

[2]-**عبد الحليم حنفي، شرح ودراسة لامية العرب ، ص من16 إلى19** .

يصف "**الشّنفرى**" حاله وما آل إليه من شدَّة الجوع، واصفا أمعاءه الخالية من الطعام باليابسة «فيطويها كالخيوط، وهذا كناية عن الجوع القاتل الّذي كان يتعرض له أحيانا كثيرة.»[1] فيرضى بالطعام الزهيد الّذي يحصل عليه، فشبَّه نفسه «بذئب جائع لا يجد طعاما، والجوع واضح عليه نحول جسمه وخلوه من اللحم»[2]، ينتقل بين الفلوات بحثا عن الطعام ولكنَّه يعود فارغ الوفاض فلا يجد في نفسه حيلة سوى التمسُّك بالصّبر.

يعود "**الشّنفرى**" ليتحدَّث عن مشقات الدنيا وصبره تجاهها:

أنَا السَمْعُ الأَذَلُ فَلَا أُبَالِي وَلَوْ صَعُبَتْ شَنَاخِيبُ العُقَابِ

وَلَا ظَمْأُ يُؤَخِرُنِي وَحُـــرٌ وَلَا خِمْصٌ يَقْصُرُ مِنْ طُلَابِ.[3]

فيبيِّن كيف أنّ تلك المشقات الّتي تصادفه ضمن حياته اليومية، لا يمكن أن تردعه فيواجهها بقوة عزيمته وصبره، فلا تلك الظروف الصَّعبة ولا الجوع ولا العطش يقف أمامه وأمام مبتغاه.

إنَّ العيش في الفلاة أمر لا يقدر عليه إلَّا من كان ذا عزيمة فذَّة وصبر شديد ناهيك عن نقص الطعام، يلاقي الصَّعاليك أصحاب هذه الطبيعة ظروفها الوعرة من برد قارص في الشِّتاء وحرٍّ تعجز حتّى أقوى الحيوانات على تحمله يقول "**الشّنفرى**" في ذلك:

وَلَيْلَةِ بَخْسٍ يَصْطَلِي القَوْسُ رَبُّـــــهَا وَأَقْطَعُهُ اللاَّئِي بِهَـــــا يَتَنَبَّـــــلُ

دَعَسْتُ عَلَى بَغْشٍ وَغَطْشٍ وَصُحْـبَتِي سُعَارٌ وَارزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكـــــــــلُ

فَأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وَأَتْيَمْتُ إِلَـــــــــدَةً وعُدْتُ كَمَا أَبْدَأَتْ وَاللَّيْلُ أَلْيـــــلُ

وَيَومٌ مِنَ الشِّعْرَى يَـــذُوبُ لُـــوَابُهُ أَفَاعِيهِ مِنِ رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَـــــــلُ

[1] – محمد حسن أبو ناجي، الشنفرى، ص 124.

[2] -عبد الحليم حنفي، شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى، ص 20 .

[3] -المرجع نفسه ، ص78 .

وَخَـــرْقٍ كَظَهْرِ التِرْسِ قفـــرٍ قطعته بعَـــــامِلَتَينِ ظاَهِرُهُ لَيسَ يَعْمَـــلُ

وَيرْكُدْنَ بِالأَصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِـــــــي مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيخَ أَعْقَلُ.[1]

يصف الشَّاعر الطبيعة القاسية التي كان يحاول أن يتعايش معها، واللَّيالي الباردة التي يسمِّيها بليالي البَخس، مما يدفع الشَّاعر إلى أن يشعل قوسه طمعا في أن يدفئه ولو لبرهة من الزَّمن، ليقول فيما بعد أنَّ حاله لا تحيد عن هذه الأجواء، فتارة يبيت في درجة الحرارة المنخفضة وتارة تحرقه أشعة الشَّمس الحارَّة الّتي لا تقدر على تحمُّلها حتّى الأفاعي فتلجأ للبحث عن ظل يحميها من تلك الحرارة. أمَّا الشَّاعر فلا يجد هنا مأوى يلجأ إليه سوى أن يصبر ويحاول أن يتعايش معها، وهذا ما يثبت لنا نفسه الصبورة الّتي عودها على تحمُّل الصِّعاب والمشقّات.

5/**العفّة**:

كثيرا ما نجد ذلك الوصف الحسِّي للمرأة والمبالغة فيه، غير أنَّنا نجد في المقابل أيضا تلك العفّة والحياء والحشمة الّتي تميزت بها المرأة الجاهلية، وهذا ما ذهب إليه "**الشّنفرى**" في تعداد خصال زوجته ضمن قصيدته التائية بقوله:

فَيَا جَارَتِي وَأَنْتِ غيْرُ مُلِيمَةٍ إِذَا ذُكِرَتْ وَلِذَاتِ تَقَلَـــــتِ

لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي لَا سُقُوطًا قِنَاعَها إِذَا مَا مَشَتْ وَلاَ بِذَاتِ تَلَفَتِ

تبَيِتُ بَعِيدَ النَّومِ تَهْدِي غُبُوقَها جَارَتِهَا إِذَا الهَدِّيَةُ قَلَّـــــــتِ

تَحِلُ بِمَنْجَاةِ مِنَ اللَّوْمِ بَـيْتَهَا ذَا مَا بُيُوتٌ بِالمَـــذَمَةِ حَلَّتِ

أُمَيْمَة لَا يَخْزَى نَثَاهَا حَلِيلُـهَا إِذَا ذِكْرُ النِّسْوَانِ عَفَّتْ وَجلتِ

إِذَا هُوَ أَمْسَى آَبَ قُرَّةَ عَيْنِهِ مَآبَ السَّعِيدِ لَمْ يَسَلْ أَيْنَ ظَلتِ[2]

[1]- عبد الحليم حنفي، شرح ودراسة لامية العرب للشّنفرى، ص118–119 .

[2]-حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشّعراء الصّعاليك، ج2، ص26 .

فهنا نلاحظ زوجة "**الشّنفرى**" قد التزمت بعفَّتها من خلال حفاظها على خمارها، وكذا تأثرها بكرم زوجها فقد كانت تساعد جارتها وقت حاجتها فهي «زوجة كريمة القدر، شريفة الخلق، سامية النفس، لا تلام على فعل من الأفعال لأنَّها ملتزمة خلقيا وفكريا بخط مملوء بالعفّة والترفع عن كل ما يؤذي»[1]، ممَّا جعلها من بين النساء الشريفات العفيفات في العصر الجاهلي، وجعل "**الشّنفرى**" يُعجب بخصالها ويَنْظُم أبياتا فيها.

6/التعاون:

عُرف نظام العصر الجاهلي بمؤازرة أهل القبيلة أو القوم الواحد لبعضهم البعض وقت الشدائد والحاجة يقول:

قَوْمٌ إذَا الشَّرُ أَبْدَى نَاجِدَيْهِ لَهُمِ طَارُوا إِلَيْهْ زَارَافَاتٍ وَوُحْـــــدَانَا

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَات عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا.[2]

فكان الجاهليون يساعدون بعضهم في النَّائبات وإذا جاء أحدهم وطلب يد العون منهم يُلبُّون ندائه دون أن يسألوا عن سبب المشكلة أو إن كان هو ظالم في ذلك، فهم يقفون إلى جانبه وينصرونه ظالما كان أو مظلوما.

ثانيا: حاتم الطائي:

"**حاتم الطائي**" اسم لطالما ضُرب به المثل في الكرم والسَّخاء، وهو شاعر جاهلي يعود نسبه إلى «بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أحزم بن أبي أخزم- واسمه هزومة-بن ربيعة بن جرول بن تعل بن عمر بن الغوث بن طيء يكنى أبا سفانة وأبا عدي.»[3] عُرف

[1]- **محمد حسن أبو ناجي، الشّنفرى، ص143** .

[2]-**المرجع نفسه، ص80** .

[3]- **يحي بن مدرك الطائي، ديوان حاتم الطائي وأخباره، ص09** .

بأخلاقه الكريمة منذ صغره فكان إذا قصده أحد وسأله عن شيء لم يرده، ممَّا صنع له مكانة مرموقة بين أهله فقد كان «سيِّدا من سادات طيء ...وفارسا من فرسانها ، رجل يَكْتَنِفُهُ الشَّرف والسُؤدد من طرفيه، وتسمه الشَّجاعة وعفة النَّفس وكرم الأخلاق، والعاطفة الإنسانية، والروح الاشتراكية، بأجمل سماتها، ويزيِّنه السَّخاء والجودة وحب الضيافة بأسمى زينه، لم يكن همُّه إلَّا إكرام الضيوف...»[1] وهذه الصِّفات قلّما نجدها قد اجتمعت عند شخص واحد في العصر الجاهلي مما جعله كاستثناء بينهم.

طُبع "**حاتم**" على عادة الجود منذ صغره يقول "**الزبير بن بكارة** ": «فلما شبَّ "حاتم" وترعرع أقبل يخرج بطعامه فإن وجد أحدا أكل معه أكل وإن لم يجد أحدا يأكل معه ألقاه.»[2] وهذا ليس غريبا عنه، فقد عُرفت عائلته من قبله بهذه الصفة. ويبدوا أنَّ "**حاتم**" قد ورثها عنهم خاصة أمه «عتبة بنت عفيف، فقد روي أنَّها كانت في الجود كابنها، لا تدخر شيئا ولا يسألها أحد شيئا فتمنعه.»[3] بل وتصل أحيانا إلى أن تكلِّف نفسها فوق استطاعتها، سعيا لإرضاء من يقصدها ورغبة منها في إكرامه، ولو كان ذلك على حسابها. ويبدو أنَّ هذا أيضا قد كان ممَّا ورثه ابنها عنها فقد «كان "حاتم "يعطي وهو مجهود، ويتخلى عما في يده وهو إليه أحوج لتأصل الكريم فيه طبعا وسجية.»[4] وقد كانت هذه الصفة بادية في الجاهلية غير أنَّه كان أبلغ الكرماء فيهم.

شاع عن "**حاتم**" سيته في كل القبائل العربية، فكان حيثما نزل إلَّا وعُرف، ويقصده من كان من قبيلته أو من غيرها ووصفه "**ابن الأعرابي**" في قوله: «كان "حاتم" من شعراء الجاهلية وكان جَوادا، يشبّه جوده شعره ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عُرف منزله، وكان مظفرا إذا قاتل غلب، إذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب...وكان إذا أهلَّ الشهر الأصم ينحر كل يوم عشرة من الإبل،

[1]- **حاتم الطائي، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، 1394هـ-1974م، ص05.**

[2]- **يحي بن مدرك الطائي، ديوان حاتم الطائي وأخباره ،ص32.**

[3]- **حاتم الطائي، المرجع السابق، ص06.**

[4]- **يحيى بن مدرك الطائي، المرجع السابق، ص67.**

فأطعم النـاَّس واجتمعوا إليه»[1] إلى غاية نهاية هذا الشهر، ولكن كرمه لم يقتصر على هذا الشهر فقط بل في كل وقت وحين.

لم يتوقف ينبوع الكرم عند "**حاتم**"، فكما ورثه هو عن عائلته وأمه ورثته ابنته "**سفانة** " هي الأخرى، فقد كان كلَّما أعطاها "**حاتم**" قطعة من إبله إلَّا ووهبتها للمحتاجين.[2] ومنه نلاحظ أنَّ عائلة "**حاتم**" قد ورثت صفة الكرم ابنة عن أب عن أم.

حاول بعض النَّاس نهيه عمّا يفعله باعتبار أنَّه يُبالغ في كرمه لدرجة كبيرة، فقد كان يكلِّف نفسه أحيانا فوق مستطاعها لإرضاء ضيوفه ولكن ذلك لم يمنعه «ولم يزل "حاتم" على حاله في إطعام الطعام وإنهاب المال حتى مضى إلى سبيله سنة 605م»[3] رحمة الله عليه، مخلفا صفته لابنته "**سفانة**" من بعده .

القيم الإنسانية في الخطاب الشعري لدى "حاتم":

لـ"**حاتم**" قيم كثيرة يتَّصف بها، غير أنَّ أكثر ما يميزه كرمه الّذي ارتبط مع اسمه فأصبح لا يُذكر اسمه إلَّا وذُكر كرمه، ولا يُذكر كرمه إلَّا وجاءت سيرته.

1/الكرم:

كان "**حاتم**" إذا سُئل عن شيء يحرمه عن نفسه ويعطيه إياه، وإن دلّ ذلك على شيء فهو يدّل على خُلقه ونزاهته يقول في ذلك:

أَمَا وَالذِي لَا يَعْـــــــلَمُ الغَيْبَ غَيْرَهُ وَيُحْيِي العِظَامَ البِيضَ وَهِي رَمِيمُ

[1]- **إبراهيم شمس الدين، قصص العرب: موسوعة تراثية جامعة لقصص ونوادر وطرائف العرب في العصر الجاهلي والإسلامي ج1، دار الكتب إسلامي العلمية، ط9، 1423هـ-2002م، ص270 .**

[2]- **ينظر: حاتم، دوانه، ص06.**

[3]- **أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص73.**

لَقَدْ كُنْتُ أَطْوِي البَـطْنَ وَالزَّادُ يُشْتَهَى مَـــــــــخَافَةٌ يَومًا أَنْ يُقَالَ لَئِيمُ

وَمَا كَانَ بِي وَمَا كَـانَ وَاللَّيْـــلُ مِلْبَسٌ رِوَاقٌ لَهُ فَـــــــوْقَ الإِكَامِ بَهِيمُ.[1]

يبدأ الشَّاعر أبياته بقسم يؤكد على صحته وما يقوله ثم يعود ليقول أنَّه قد يتخلى عن طعامه لضيفه ولو كان جائعا، خوفا منه أن يقال عنه أنَّه بخيل يوما، مع العلم أنَّ "**حاتم**" يرمي أن يكون على كل لسان، فتُردد العرب خصاله وما يجود به على غيره

يظهر "**حاتم**" كرمه تارة أخرى ليفتخر بنفسه وكرمه ليقول:

إِذَا مَا بَخِيلُ الحَبَّ أَخْمَدَ نَارَهُ أَقُولُ لِمَنْ يَصْلَى بِنَارِي أَوْقِدُوا

تَوَسَعْ قَلِيلاً، أَوْ تَكُنْ ثُمَّ حَسْبُنَا وَمَوْقِدُهَا البَارِي أَعَفُ وَأَحْمَدُ.[2]

يبرر "**حاتم**" حضوره ويعلم أنَّ ناره دائما موقدة بانتظار من يقصدها، والّتي يقصد بها الطعام كون النَّار في الجاهلية كانت تدل على كرم قومها لما يُطهي عليها ويستدل بها في الليالي الحالكة، فيقول أنَّه حتّى ولو أضمر كل مدعٍ للكرم كرمه في وقت من الأوقات فهو دائم الوجود.

كان "**حاتم**" كثير العطاء لدرجة أنَّه يبقى فارغ الوفاض في كثير من الأحيان، فكانت زوجته "**نوار**" تلومه على كثرة كرمه يقول:

وَعَاذِلَةٍ هَبَتْ بِلَيْلٍ تَـــلُومُنِي وَقَدْ غَابَ عَبُوقُ الثَرِيَا فَـــــعَوَّدَا

تَلُومُ عَلَى إِعْطَائِي صِلـــــةً إِذَا ضَنَّ بِالمَالِ البَخِيلُ وَصَـــوَّدَا

تَقُولُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّنِي أَرَى المَالَ عِنْدَ المِسْكِينِ مُعَبَّدَا

---

[1]– حاتم، ديوان حاتم الطائي، شر: صالح يحي بن مدرك الطائي، قدم له حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ–1994م، ص43.

[2]- المصدر نفسه، ص35 .

ذَرِينِي وَحَالِي إِنَّ مَالِكِ وَافِرٌ وَكُلُ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تـــعَوَّدَا.[1]

فيردُّ عليها بأنَّه كثير المال وأنَّ من تعود على فعلٍ وشاب عليه صعب أن يتخلص منه و"**حاتم**" قد تعوَّد على الجود والكرم وأصبحت عادة لديه يصعب التخلص منها.

وقد تكرَّر لوم زوجته له فقد كان في كل مرَّة تراه فيها قد بالغ في كرمه تنهاه عن ذلك في قولها على لسانه:

وَقَائِلَةٍ أَهْلَكْتَ بِالـــجُودِ مَالَنَا وَنَفْسَكَ حَتَّى ضَرَّ نَفْسَكَ جُودَهَا

فَقُلْتُ دَعِينِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَتِي لِكُـــــــــلِّ كَرِيمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيدُهَا.[2]

لم يكن "**حاتم**" يُكرم ضيوفه في الوقت الّذي يكون جيبه ممتلئا، وإنَّما كان يُكلِّف نفسه فوق طاقته بل وكان يُنقص من حق عائلته عليه، فيصرف ما عنده على من يسأله لحاجة حتّى ولو عاد ذلك بالمضرة عليه وعلى عائلته.

إنَّ الأخلاق الّتي تربِّى عليها "**حاتم**" هي الّتي جعلت منه ما كان عليه وجلبت محبَّة النَّاس إليه، يقول مخاطبا زوجته "**أماوية**":

أَمَاوِيَّ ! قَدْ طَالَ التَجَنُّبُ وَالهَجْرُ، وَقَدْ عَـــذَرَتْنِي، مِنْ طِلَابِكُمُ، العَذْرُ

أَمَاوِيَّ ! إِنَّ المَالَ غَـــادٍ،وَرَائِحٌ، وَيَبْقَى، مِنَ المَالِ، الأَحَادِيثُ، وَالذِكْرُ

أَمَاوِيَّ ! إِنِّي لَا أَقُولُ لِسائِـــلٍ إِذَا جَاءَ يَومًا حَـــلَّ فِي مَالِنَا نَزْرُ.[3]

[1]- **يوسف عطا الطريفي، العصر الجاهلي، ص200-201.**

[2]- **حاتم الطائي، ديوانه، ص44.**

[3]- **المرجع السابق، ص44.**

فيطلب منها أن تعذره ولا تلومه في كرمه، قائلا لها بأنَّ المال لا يدوم على حال، فتارة يأتي وتارة يزول، فخير من أن يزول بلا فائدة يكون ذا منفعة في إعانة الآخرين، وأنَّ المال لا يُخلِّد صاحبه فهو يعلم أنَّ كرمه هذا يعطيه مكانة شريفة، فيذكره من تصدّق عليه بعد موته، وتبقى سيرته حيَّة على كل لسان، فـ"**حاتم**" بلغ من شدة خلقه أنَّه يستحي من أن يسأله أحد ويرده خائبا الوفاض.

لم يكن حاتم يكرم من يسأله فقط بل كان يتطوع من نفسه كلَّما سمحت له الفرصة بذلك قائلا:

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْـــدَهُ نَظِيرٌ لَهُ يُغْنِي غِنَاهُ وَيُخْلِـــفُ

وَإِنِّي لَأُقَرِى الضَّيْفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَأَطْعَنُ قِدْمًا وَالأَسِنَـــةُ تَرْعُفُ

وَإِنَّي لَأُخْزِي أَنْ تَرَى بي بِطْنَةً وَجَارَاتُ بَيْتِي طَاوِيَاتٌ وَنُـحَفُ

إِنِّي لَأُعْـــطِي سَـــائِلِي ولرُبَّمَا أُكَلَّفُ مَا لَا أَسْتَطِيعُ فَأُكَلَّفُ.[1]

فـ "**حاتم**" على علم بأنَّ أهل الجاهلية كُرماء وهذا ما يثبته البيت الأول فما يذهب واحد إلَّا وظهر بديل عنه، ولربمَّا كان يقصد بذلك أمّه الّتي عُرفت بكرمها من قبله، ليواصل بقوله أنَّه يحب أن يعطي النَّاس قبل سُؤالهم ولا يرضى بأن يكون هو على شبع وجاراته وقومه بأمس الحاجة لمن يساندهم في جوعهم، ليقف إلى جانبهم ولو كان على تكلفة منه.

مواقف كثيرة ظهر فيها مدى كرم "**حاتم**" وجوده وها هي حادثة أخرى تظهر لنا شهامة هذا الرجل قائلا :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرَّتْ كِلَابُهُمْ ضَرَبْتُ بِسَيفِي سَاقَ أَفْعَى فَخَرَّتِ

فَقُلْتُ لِأَصْبَاهِ صِغارٍ ونِسْوَةٍ بِشَهْبَاءَ، مِنْ لَيْلِ الثَلَاثِينَ قَرَّتِ

[1] – سراج الدِّين محمد، موسوعة روائع الشعر العربي "الفخر في الشعر الجاهلي "، دار الراتب الجامعية، ص18.

عَليكُمْ مِنَ الشَطِّينِ كُلَّ وَرَيَةٍ إِذَا النَّارُ مَسَّتْ جَانِبَيهَا ارْمَعَلَّتِ

وَلَا يَنْزِلُ المَرْءُ الكَرِيمُ عِيالَهُ وَأَضْيَافَهُ مَا سَاقَ مَالًا بِضَرَّتِ.[1]

يُظهر "**حاتم**" كرمه وشهامته هنا ضمن موقف صعُب فيه الحال على القوم، فقصده ضيف ضمن ليلة من اللَّيالي المجدبة، ولم يكن لـ "**حاتم**" سوى ناقة أسماها "أفعى" فعقرها له وبعث بنصيب منها لعياله. ويبقى من المواقف الكثير التي تثبت بأنَّ هذا الشَّاعر الفارس الكريم قد استحق ما رُوي عنه، وقد فاق كل التوقعات بكرمه وإنَّها لصفة حثَّنا عليها الله عزَّ وجل ورسولنا الكريم بعده، صُبغت بألوان الجاهلية ليتخذه أهل الإسلام ومن بعدهم عبرة وقدوة لهم.

2/الشَّجاعة:

كان العرب في العصر الجاهلي يعيشون ضمن الصَّحراء الّتي عرفت بقساوتها وصعوبة طبيعتها، من توافر أبسط ظروف الحياة كالزاد والماء، وممَّا هو معروف عنهم أيضا أنَّهم كانوا يعيشون ضمن قبائل، فكانت تشُّب النِّزاعات والحروب بينهم على أبسط الأمور، وهذا أمر عادي بالنسبة إليهم، لقد كان لكل قبيلة فرسانا شجعانا يحمونها وقت الحاجة، وإن كان ذلك أمرا لابدَّ منه فإن قلنا أنّ حياتهم مبنية على الحروب معنى ذلك أنّ حياتهم معرضة للخطر في أي وقت مما استلزم على كل فرد منهم أن يتسلَّح بالشجاعة ويتعلم الفروسية حتّى يضمن سلامته وسلامة عائلته. قد شاع سيت الجاهليين بشجاعتهم وإقدامهم وبطولاتهم في الحروب من خلال أشعار شعرائهم، كشاعرنا "**حاتم الطائي**" الّذي عُرف هو الآخر بشجاعته وفروسيته فعبَّر عن ذلك في شعره:

رَأَتْنِي كَأَشْلَاءِ اللِّـــــــــــجَامِ وَلَنْ تَرَى أَخَـــا الحَرْبِ إِلَّا سَاهِمَ الوَجْهَ أَغْبَرَا

أَخُو الحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا وإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا.[2]

[1]- **حاتم الطائي، ديوانه، ص32.**

[2]– **سراج الدين محمد، موسوعة روائع الشعر العربي، ص18.**

فشجاعة الفارس لا تظهر إلَّا وقت الحروب، وهذا ما يتحدَّث عنه حيث شبَّه نفسه بأخ الحرب الذي لا يخشى شيئا، فمتى شبَّت الحرب أثبت وجوده هو الآخر.

يعود "**حاتم**" ليُظهر شجاعته مرة أخرى بقوله:

وَخِرْقٍ كَنَصْلِ السَّيْفِ قَدْ رَامَ مَصْدَفَى تَعَسَفْتُهُ بِالرُّمْحِ وَالقَوْمُ شُهَّـــدِي

فَخَرَّ عَلَى حرِّ الجَبِينِ بِضَـــــــرْبَةٍ تقظُّ صِفَاقًا عَنْ حَشًا غَيرِ مُسْنَدِ.[1]

يتحدّث "**حاتم**" عن حادثة تثبت شجاعته وكيف أنَّه ظفر بعدوه وطعنه برمحه، فكانت تلك الضَّربة كافية لتسقطه أرضا، فقد شهد على ذلك من يثبت قوله.

3/العفة :

بلغ "**حاتم**" من فضيلة العفّة، ما بلغه من كرم فقد كان عفيفا لا يتقرَّب إلى النساء المتزوجات قائلا:

كَرِيمٌ لَا أَبِيتُ اللَّيْلَ جَــادٍ أُعَدِّدُ بِالأَنَاملِ مَا رُزِيتُ

إِذَا مَا بِتُّ أَخْتِلُ عِرْسَ جَارِي مَعَاذَ اللهِ أَفْعَلُ مَا حُيِيْتُ.[2]

فكان من استحيائه وحسن خلقه أنَّه يتغاضى عن التَّقرب إلى جاراته أو ينفرد بهن بل كان يكن لهم كل الاحترام. ويغض البصر إن مرَّ بجوارهن.

حرص "**حاتم**" على حماية جاراته ورعايتهن إن غاب أزواجهن، فقد كان في إحدى المرَّات أن تصدَّت احدى النساء له ودعته إليها في قوله:

[1] – **يحي بن مدرك الطائي، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، ص226.**

[2] – **المرجع نفسه، ص88.**

رُبَّ بَيْضَاءِ فَرْعُها يُثْنِي قَدْ دَعَتْنِي لِوَصْلِهَا فَأَبَيـــتُ

إيكِن بِي تَحَرُج غَيرَ أَنِّي كُنْتُ خِدْنًا لِزَوجِهَا فَاسْتَحَيْتُ.[1]

رفض أن يستجيب لها وتعفَّف عنها فقد كان "**حاتم**" صديقا لزوجها فرفض التَّقرب منها لسببين لصدق خُلقه أولا، وحفاظا على شرف زوجها أي صديقه ثانيا.

4/الحكـمة:

كان "**حاتم**" مدركا للدنيا وخباياها وقد مرَّ عليه من مواقف ما خولته بأن يستنبط بعض الحِكم كقوله:

هَلِ الدَّهْرُ إلَّا اليَومُ، أوْ أَمْسِ، أوْ غَدُ لذَاكَ الزَّمَانُ، بَيْنَنَا يَتَـــــرَدَّدُ

يَرُدُّ عَلَيْنَا لَيْلَةً بَعْدَ يَوْمِـــــــــهَا فَلَا نَحْنُ مَا نَبْقَى، وَلَا الدَّهْرُ يَنْفُذُ

لَنَا أَجَلٌ، إِمَّاَ تَـــــــــنَاهِيَ إِمَامُهُ فَنَـــــــــحْنُ عَلَى آثَارِهِ نَتَوَرَدُ.[2]

فالدنيا زائلة لا محال وكل إنسان كتب له أن يعيش ما قدر له لا زيادة بعده، على غرار الزمن الّذي عرف باستمراريته والّذي لا يُعرف له بداية ولا نهاية.

5/الصـدق:

كان شاعرنا هذا إن قال قولا أو وعد بوعد صدق فيه، ولم يَعُد عنه حتّى ولو كلَّف نفسه، فكان ينصح بصدق القول في شعره قائلا:

[1] – **يحي بن مدرك الطائي، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، ص91.**

[2] – **حاتم، ديوانه، ص34.**

فَاصْدقْ حَدِيثَكَ، إِنَ المَرْءَ يَتْبَعُه سُوءَ الثَنَاءِ إِذَا مَا نَعْشُهُ حُمِلَا.[1]

فالشَّخص الّذي يكذب تأتي سيرته بعد مماته بسوء أفعاله وكذبه فتذكر خصاله التي كان عليها إن كان صادقا أو كاذبا.

يؤكد "**حاتم**" على صدقه مرة أخرى بقوله:

أنَا المُفيدُ حَاتِمُ بْنُ سَعْـــدُ أُعــطِي الجَزِيلَ وَأَفِي بِالعَهْدِ

وَشِيمَتِي البَذْلُ وَصِدْقُ الوَعْدِ وَأَشْتَرِي الحَمْدَ بِفِعْلِ الـحَمْدِ.[2]

من شيم "**حاتم**" الوفاء بوعد قطعه على نفسه أو على غيره، فقد كان لا يقطع عهدا ولا يقول قولا إلَّا وقد صدق فيه.

6/التواضع:

قلَّ ما نجد أحد من الأسياد يتَّصف بصفة التواضع خاصة إذا أكرم الله عزَّ وجل عليه بنعم كثيرة ومال وفير، و"**حاتم**" كان واحدا من سادات قبيلته غير أنَّه يتعامل مع النَّاس باحترام لا يُفرق بين الغني والفقير أو من يعرفه ومن يجهله، يقول شاعرنا:

إذاَ كُنْتَ رَبًا لِلْقَلُوصِ فَلَا تَدَعْ رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيرَ رَاكِبِ

أَنِخْهَا فَأَرْدِفهُ، فَإِنْ حَمَلَتْكُمَا فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ العِقَابُ فَعـاَقِبِ.[3]

---

[1]- **يحي بن مدرك الطائي، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، ص94.**

[2]- **حاتم، ديوانه، ص95.**

[3]- **المصدر نفسه، ص29.**

القلوص: الناقة الشابة ، أنخها: اركعها، أردفه : أركبه وراءك.

فبلغ منه أنَّه كان يستحي أن يركب هو على ناقته ويترك صديقه يمشي على قدميه، بل كان يدعوه إلى ركوبها معا تواضعا منه.

يتحدَّث حاتم عن قبيلته ومدى تواضُعهم فيقول:

أُسَوَّدُ سَادَاتِ العَشِيرَةِ عَارِفًا وَمِنْ دُونِ قَومِي فِي الشَدَائِدِ مِذْوَدَا.[1]

كان يفتخر بسادات عشيرته، وكيف أنَّهم قوم متواضعون يساعدون الآخرين في وقت المحن والمصاعب.

ثالثا: زهير بن أبي سلمى:

هو من أشهر شعراء الجاهلية شهرة يعود نسبه إلى «زهير بن أبي سلمى المزني، بن ربيعة بن رباح بن قرط بن الحارث بن مازن بن حلاوة بن ثعلبة بن نور بن هرمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أَدْ بن طايفة بن إلياس.»[2] له قصائد عدة اختلفت على مستوى مواضيعها وأغراضها، عُرف ببراعة شعره وإتقانه له ومعروف عنه أنَّه كان يمكثُ حولا وهو ينقح قصيدته قبل إخراجها ولعلَّ هذا الاهتمام هو ما جعله من بين «أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشّعراء وهم امرؤ القيس والنَّابغة الذبياني وإنَّما اختلفوا في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه، ويفضله الكثير من الرواة ويقولون إنَّه أحكمهم شعرا، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق»[3]، فقد كان يستغرق وقتا طويلا في تهذيب قصائده فسمِّيت بالحوليات.

---

[1]- **يحي بن مدرك الطائي، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، ص100.**

[2]**– أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 2009م، ص62.**

[3]**– الإمام أبي عباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، مطبعة دار الكتب المصرية، 1363هـ/1944م، ص08.**

عُرف "**زهير بن أبي سلمى**" بالشعر الحِكمي فقد كان زاهدا بالدُّنيا يعلم بخباياها متعفِّفا عن مساوئها يقول "**ابن قتيبة**" :«إن زهير كان يَتَأَلَّهُ ويتعفَّف في شعره وقد نظر إليه المؤرخون نظرة احترام، ونظر إليه أبناء زمانه نظرة تجلّة، وانقاد له أبناء قبيلته على أنَّه سيِّد من أسيادها.»[1] فكانت موهبة الشّعر نعمة عليه من الله عزَّ وجل جَذبت له محبَّة النَّاس واحترام الصِّغار والكبار وفي نفس الوقت باب رزقٍ مما كان يكسبه من ممدوحيه.

تميز "**زهير**" بشعره وتعدَّدت أغراضه «فامتاز بما في نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الأمثال مع القدرة على المدح، وهو لا يعاطل في الكلام ولا يمدح أحدا إلَّا بما فيه »[2]، فامتاز شعره بصدقه ولم يكن ينظم أي شيء قد يخطر بباله شعرا وإنَّما كان إذا قال بيتا إلَّا وكانت هناك فائدة من وراءه.

استهوى شعره الكثير من النقّاد والقرّاء من بينهم "**بدوي طبانة**" في قوله: «كان زهير أحفظهم شعرا وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق، وأشدّهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالا في شعره.»[3] فقد كان "**لزهير**" قدرة على توليد المعاني وهذا ما يدلّ على براعته وإبداعه ولعلَّ هذا الإتقان هو ما خوَّله بأن يختاره النقّاد من بين أفضل الشّعراء لتكون إحدى قصائده واحدة من بين المعلقات الّتي علقت على أسوار الكعبة.

القيم الإنسانية في الخطاب الشعري لدى زهير بن أبي سلمى:

1/الحكمة:

لُقب شاعرنا "**زهير**" بشاعر الحكمة لكثرة الحِكم الّتي ضمَّنها شعره ومن بينها قوله في(معلقته):

[1]- **حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب، ص214.**

[2]- **جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، دار الهلال، ص99.**

[3]- **بدوي طبانة، معلقات العرب، دراسة تقديمية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي، عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص135.**

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ إِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ.[1]

فمهما حاول الإنسان أن يُخفي عيوبه وأن يصبغها بما ليس له، لابدَّ أن يأتي يوما ما ويظهر على حقيقته ليتجلَّى للنَّاس ما قد أخفاه، ومنه التَّعامل على الطبيعة والسَّجية خير فعل بالنِّسبة لـ"**زهير**".

يتحدَّث الشَّاعر عما استقاه من هذه الحياة وما استنبطه من التَّجارب الّتي مرَّت به يقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يَرَى النَّاسَ مَا أَرَى مِن الأَمْرِ؟ أَوْ يَبْدُو لَهُمْ مَا بَدَا لِيَا

بدَا لي أَنَّ النَّـــــاسَ تَفنَى نُفوسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ. وَلَا أَرَى الـــدَّهْرَ فَانِيَا

أَرَانِي إِذَا أَمْسَيْتُ ذَا هَـــــــــوًا فَثُمَ إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا

إِلَى حُفْرَةٍ أَهوَى إِلَيـــــــهَا مصمة يَحُثُ إِلَيْـــــهَا سَائِـقُ مِنْ وَرَائِي.[2]

فيتمنى الشَّاعر أنْ يُدرك النَّاس ما قد أدركه من هذه الحياة، بأنَّ النَّفس الإنسانية لابدَّ أن يأتي يوما وتَفنَى فهي زائلة لا محالة وأنَّ هذا الدَّهرَ لا زائل له، ليَعُود ويؤكد أنَّ مصير كل فرد في هذه الدُّنيا هو الموت.

الحِكمة لا تنبع إلاَّ من شخص قد عاش تجارب هذه الدُّنيا واستخلص منه عبرًا وحكمًا، وشاعرنا هذا واحد من هؤلاء يقول في "معلقته":

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسْـأَمِ

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِي يُعَـمَّرُ فَيُهْرَمِ

[1]- **أحمد أمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ-2005م، ص24.**

[2]- **يوسف عطا الطريفي، العصر الجاهلي، ص234.**

وَأعْلَمُ مَا فِي اليَومِ وَالأَمْسِ قَبْـــلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ.[1]

أبدى لنا "**زهير**" سأمه ومله ممَّا رمته الحياة عليه، من هموم ومشاكل وتجارب، ليصف لنا فيما بعد عما شهدته عيناه من خطف للأرواح فالشَّاعر يرى بأنَّ الموت يأخذها بشكل عشوائي فمن أصابه آن أجله ومن تخطئه تطول أيامه، ليعود إلى التَّأمل من جديد فيدرك ما وقع في يومه وما قبله كونه قد شهد ذلك وأحس به على غرار الغد والمستقبل الّذي يجهل ما قد يأتي به.

2/ الكـرم:

لا يكون الكرم بالطعام والمال وإخراجه فقط أو بإكرام الآخرين بل يكون أحيانا بإكرام النفس يقول في "معلقته":

وَمَنْ يغْتَرِبْ يَحْسَبُ عَدُوًا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكَرِّمُ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ.[2]

فالإنسان عند ما يرتحل عن دياره، يصادف في ثنايا طريقه أُناسًا جُدُد قد يحسبهم أصدقاء لمجرد لقائهم وابتسامتهم في وجهه، و"**زهير**" ها هنا ينصح بعدم مصادقة أحد إلَّا بعد تجربته فمِن خلال المواقف يظهر معدن الفرد وخُلقه، لذا على كل واحد منَّا أن يُعطي قدرا لنفسه ويكرمها، وأن لا يضع ثقته في غيره إلاّ بعد تَيَقُّنٍ حتّى لا يقع في ملامةٍ فيما بعد.

اشتهر "**زهير**" بغرض المدح ومدى المبالغة فيه، فكان يمدح ممدوحيه بخصالهم الحميدة في قوله:

إنَ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ ولَ كِنَ الجَوَّادَ عَـــلَى علاته هَرَمُ

هُوَ الجَوَّادُ الذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوَا وَيُظْلَمُ أَحْيانَا فَيَظلـــــمِ

---

[1]- **أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار القلم العربي بحلب، 1419هـ-1998م، ص49.**

[2]- **زهير، ديوانه، شرح وقدم له علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-ط1، 1408هـ-1988م، ص111.**

وَإنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوم مَسْـــأَلَةٍ يقولُ لا غَائبَ مَالِي ولا حَرَم.[1]

يفتتح الشَّاعر مدحه ببيت يُبيِّن فيه مقام الكريم ورتبته، وأنَّ البُخل صفة ذميمة يُلام عليها صاحبها، لينتقل إلى مدح ممدوحه ويُثني عليه بمدى جوده وكيف أنَّه لا يرد أي محتاج يطرق بابه.

ومما جاء في المدح بصفة الكرم أيضا قوله:

أَغَرٌ أَبْيَضٌ فَيَاضٌ يفككُ عَنْ أَيْدِي العِناةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرِبْقُ.[2]

فيصف ممدوحه بصفة البياض نسبة إلى خلوه من العيوب ويشبِّه كرمه بمن يفكك الأغلال عن صاحبها أي أنَّه بكرمه هذا يكون قد ساعد من أكرمه بحل مشكلة الفقر والحاجة والّتي كانت بمثابة القيد له.

يعود الشَّاعر ليصف ممدوحيه بهذه الصِّفة الكريمة وهي صفة الكرم بقوله:

وَأَبْيضَ فَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفَيْهِ مَا تُغِبُّ فَوَاضِلُه.[3]

شبَّه ممدوحه بالغيمة الّتي تُكرم على الأرض بمائها كذلك هذا الكريم الّذي يُغْدِقُ على من يسأله بخيراته.

3/ الشجاعة:

عُرف أهل الجاهلية بشجاعتهم وإقدامهم فكان أبطالها محل مدح وثناء ضمن أبيات الشّعراء نذكر من ذلك ما جاء في شعر "**زهير**" بقوله:

إِذَا فَزِعُوا طَارُوا إِلَى مُسْتَغِيثِهِم طِوَالَ الرِّمَاحِ لَا ضِعَافًا وَلَا عُزْلُ

---

[1]- **الإمام أبي العباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص53.**

[2]- **المرجع نفسه، ص139.**

[3]- **حنا نصر الحتي، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتاب العربي، بيروت–لبناب–1428هـ–2007م، ص129.**

وَإِنْ يَقْتُلُوا فَيُشْتَفَى بِدِمَائِهِم وَكَانُوا قَدِيمًا مِنْ مَنَايَاهُمْ القَتْلُ

عَلَيهَا أُسُودُ ضَارِيَاتٌ لَبُوسُهُمْ سَـــــوَابِغُ بِيضُ لَا تَخْرِقُهَا النُبَّلُ

إذَا لَحِقَتْ حَرْبَ عَوَانٌ مُضرَّةٌ ضَرُوسُ تُهِرُّ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عُصُلُ.[1]

فكان هؤلاء الشجعان إذا استغيث بهم يلبُّون النداء بقول الشَّاعر "طاروا إلى مستغيثهم" وهو كناية عن سرعة استجابتهم، فشبَّه هؤلاء الأبطال بالأُسود لشجاعتهم في الحروب مستعدين بكل لوازمها من دروع وأسلحة.

كان العرب في الجاهلية ذا نخوة لا يرضون بالظلم فقال الشَّاعر في "معلقته":

لَدَى أَسَدٍ للشَاكِي السِّلَاحَ مُقَاذِفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَـلَّمِ

جريء مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهْ سَرِيعًا وَإِلَّا يُبْدَ بِالظُلْمِ يَظْلِمِ.[2]

شبَّه "**زهير**" الممدوح بالأسد الضّارم الّذي يبرز مخالبه على عدوه ليصفه بصفة الجرأة فقد كان يرد الظلم على صاحبه، وإن لم يظلمه أحد سابق هو إلى ظلم الآخرين مخافة منه أن يتعرض له.

للفارس فضل كبير في المنافحة والدفاع عن القبيلة فبفضله يسود الأمن والاستقرار يقول:

وَمُدْرِه حَربٍ حَمِيهَا تُبْقَى بِه شَدِيدُ الرِّجَامِ بِاللِّسَانِ وَبِاليَدِ.[3]

فهو يسد الخطر عن أهله بكل ماله من وسائل سواء كان ذلك باللِّسان كون الشّعراء مثلا ودفاعهم عن قبائلهم بشعرهم أو باليد فيحمل أسلحته ويخرج للقاء أعدائه.

[1]- **شوقي ضيف، الأدب الجاهلي، دار المعارف، ط24، ص309.**

[2]- **الخطيب التبريزي، شرح المعلقات السبع، ص132.**

[3]- **زهير، ديوانه، شرحه وقدم له حسن فاعور، ص72.**

4/ الوفاء:

كانت العرب إذا قطعَت وعدا لا يرف لها جفن إلاّ بعد أن تُوفِي به، فالعهد بالنِّسبة لهم هو كلمة الشَّرف إن خرجت من أفواههم كانت بمثابة السَّيف القاطع يقول في "معلقته":

وَمَنْ يُوفِ لَا يُذْمَمْ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئَنِّ البِرِ لَا يَتَجَمْجَمِ.[1]

فمن صدق بوعده لا يذمُه أحد خاصة إذا عاهد بوعد يكون في طريق الصلاح فلا يتردَّد في ذلك ويسدِّده.

"**زهير**" هو الآخر من أهل الجاهلية اعتبر العهد دين عليه فكان لا يقطع به إلَّا وقد نفَّذه يقول في ذلك:

وَإِمّا أَنْ يَقُولُوا: قَدْ وَفَيْنَا بِذِمَتِّنَا فَعَادُتَنَا الوَفَاءُ.[2]

من صفاته وصفات أهل قبيلته الوفاء بما قطع وعدم خذلانه والوفاء به عادة بالنِّسبة لهم.

يؤكد "**زهير**" ويحث على ضرورة الوفاء بالعهد في قوله:

وَلَا مُهَانٍ وَلَكِنْ عَندَ ذِي كَرَمٍ وفِي حِبَالِ وَفِيٍّ غَيرَ مَجْهُولِ.[3]

فالكريم من عادته الوفاء بما قطعه لغيره والعهود هي بمثابة الحبال والمواثيق الّتي يقطعها النَّاس على أنفسهم لضرورة تنفيذها وعدم الرجوع عليها.

---

[1]- **محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الجلي، نهاية الأرب من شرح معلقات العرب، ط1، 1324هـ-1906م، ص94.**

[2]- **زهير، ديوانه، شرحه وقدم له حسن فاعور، ص18.**

[3]- **الإمام أبي العباس أحمد بن يحي زيد الشيباني ثعلب، شرح يوان بن أبي سلمى، ص308.**

5/ الصـدق:

مما عُرف عن "**زهير**" أنَّه كان صدوقا في شعره، فكان لا يقول شعرا إلاّ وقد صدق فيه يقول:

وإنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إذَا أَنْشَدْتُهُ صَدُقَا.[1]

فبالنسبة "**لزهير**" لا يكون البيت ذا جودة إلاّ إذا كان قائله يَصدق فيه وهذا يدل على أنَّه قد نظمه من قلبه.

رابعا: عنترة بن شـدَّاد

يُعدُّ "**عنترة بن شدّاد**" من أشهر شعراء العرب في الجاهلية، عُرف بشجاعته وبراعته في الشّعر يعود نسبه إلى «بن شدّاد وقيل عمرو بن شدّاد وقيل عنترة بن شدّاد بن عمروا بن معاوية بن قرّاد بن ربيعة وقيل مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس»[2]، فاختلف في نسب أجداده غير أنَّ النقّاد والمؤرخون قد اجتمعوا عل أنَّه "**بن شدّاد العبسي**"، أحد أسياد قبيلة "عبس".

ولد عنترة حوالي «525م ومات سنة 615هـ»[3] أي أنَّه توفي عن عمر يناهز 90سنة، كان عنترة هجين النسب من أمه كونه كان ابن أَمَةٍ لأبيه شدَّاد «تُدعى زبيبة»[4]، فاكتسب منها سواد اللَّون مما جعل أباه يُنكر نسبه إليه خجلا منه، لُقب "**عنترة**" بعدة ألقاب أشهرها «عنترة الفحل»[5] نسبة إلى تشقق في شفته ويُلقب «بأبي المغلَّس»[6]، لكثرة سيره في الظلام وإن دلَّ ذلك على شيء

[1]- **يحي الشامي، زهير بن أبي سلمى "الشّاعر الحكيم"، دار الفكر العربي، بيروت، ص81.**
[2]- **أحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص87.**
[3]- **عنترة بن شدّاد، ديوانه، شر: حمدوا طماس، دار المعرفة بيروت–لبنان–ط1، 1425هـ–2004م، ص09.**
[4]- **أحمد حسن الزيات، تاريخ الأب العربي، ص58.**
[5]- **بدوي طبانة، معلقات العرب، ص181.**
[6]- **المرجع نفسه، ص181**

فهو يدلُّ على شجاعته الّتي اشتهر بها، كان فارسا مغوارا يُستنجد به في الحروب ولعلَّ مما دفعه إلى تعلم الفروسية هو إحساسه بالمذلّة والمهانة وسط أهله كونه "هجين النسب" زيادة على لونه.

لم يعترف "**شدّاد**" بابنه "**عنترة**" إلاّ بعدما ظهرت شجاعته وذلك بعدما تعرضت قبيلتهم للهجوم واستنجد به "**شدّاد**" قائلا له «كُر يا عنترة، فأجابه العبد لا يحسن الكرّ وإنمّا يحسن الحلب والصَّر، فقال: كر وأنت حر، فكرّ وقاتل قتالا شَديدا حتّى هزم المغيرين واسترجع الإبل فاستلحقه أبوه وأخذ اسمه»[1]، وكانت هذه الحادثة بداية لحرية "**عنترة**" وتخلصه من قيد العبودية، وتغيَّرت نظرة النَّاس إليه من عبد يرعى الغنم إلى بطل شجاع ينافح ويحمي أهل قبيلته.

فرِح "**عنترة**" لاعتراف أبيه به، بكونه قد ساهم في خدمة قبيلته فقال:

أنا الهَجـــــينُ عَنْتَرَةُ كلُ امْرِئٍ يَحْـــــمِي حُرَه

أَسْـــــــوَدَهُ وَأَحْمَرَهُ وَالشَعَرَاتِ المشــعره.[2]

أراد "**عنترة**" أن يعوض ما به من ذل العبودية وأن يُبيَّن لأهله أنَّ به خصال غير لونه الأسود فقد «كان طموحا وكان صاحب عزيمة وكان يجد في نفسه تفوقا ويحس فيها رفقه، ويشعر بأنَّ الدَّم الّذي يجري في عروقه دم حرٍّ لا دم عبد»[3].

فاعتُبر مثالا للشجاعة والإقدام والكرم وجمع من الخصال حميدها يقول "**طه حسين**" في ذلك «في عنترة معنى الرجولة العربية الكاملة، عالج البطولة إلى أقصى الحدود، فكان جوادا كريما أنوفا، وكان

[1]- **أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص58.**

[2]- **عنترة بن شداد، ديوانه، ص03.**

[3]- **أحمد الحوفي، في صحبة الأدب القديم، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، ط1، يناير2006م، ص52.**

مزيجا من أشد شدة، وألين لين، مزيجا من أعنف عنف وأحن حنان»[1]وهذه الخصال قلّما نجدها عند شخص واحد كأن يجمع بين الشدة والحنان.

لم يكن "**عنترة**" فارسا بين ليلة وضحاها وإنّما كان يتدرَّب على ذلك خفية عن قومه فمن خلال رعيِه لغنم أبيه «باع منها واشترى سيفًا ورمحًا وتِرسًا ودرعًا ودفنها في الرمل، وحرص على تعلم الفروسية وفنون القتال منذ صغره وهو الذّي كان يشعر بدافع من لونه، أن أفعاله وبطولته وشجاعته أمور لا ترتبط بالنشأة، قدْر ارتباطها بالنفس وسمهوها»[2]، وقد حقَّق مراده فصار من أشجع فرسان العرب.

عُرف بفصاحته في الشّعر وله ديوان أشهر ما كتب فيه معلقته الشهيرة " هل غادر الشعراء من متردم"، ولعلَّ ما حرك عاطفته الجيَّاشة وساهم في قريحته الشّعرية هو حبُّه لابنة عمِّه "**عبلة**" الّتي كان ينظم فيها قصائد وقصائد تغزلا بها كقوله:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنِي وَبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

فَوَدَدْتُ تَقْبِيلَ السُّيوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِمِ.[3]

فامتزج الحبُّ بالحماسة واختلطت نار الحرب بنسيم الحب، وجمعت فيه بين الشّاعر الكفء والفارس الشجاع.

[1]- **حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص208.**

[2]- **الخطيب التبرزي، ديوان عنترة، دار الكتاب العربي–لبنان–قدم له مجيد طراد2012م ، ص08.**

[3]- **شوقي ضيف، البطولة في الشّعر الجاهلي، دار المعارف، ط2، ص27.**

القيم الإنسانية في الخطاب الشعري لدى عنترة بن شداد

1- الشجـاعة:

عُرف "**عنترة**" بشجاعته وفروسيته وإقدامه منذ صغره على الرغم من أنَّه كان عبدا، إلاّ أنَّه كان من أشجع فرسان قبيلته، فقد كان يُستنجد به في الحروب يقول :

وَإِنْ دَارَتْ بِهِم خَيْلُ الأَعَادِي وَنَادُونِي أَجَبْتُ مَتَى دُعِيـتُ

بِسَيفٍ حَدُهُ مَـــــوجُ المَنَايَا وَرُمْحٌ صَدْرُهُ الحَتْفُ المَمِيتُ

خُلِقْتُ مِنَ الحَدِيد أَشد قلبًا وَقَدْ بَلَى الحَدِيدُ وَمَا بُلِيـــتُ

وَإِنِّي قدْ شَرِبْتُ دَمَ الأَعَـــادِي بِأَقْحَافِ الرؤُوسِ وَمَا رُوِيتُ

وَفِي الحَربِ العَوانِ وُلِدْتُ طِفْلًا وَمِنْ كُتُبِ المَقَامِعِ قَدْ سُقِيتُ.[1]

لم يكن أهل "**عنترة**" يُولُونَه اهتماماً، إلاّ في وقت الحروب والغارات فكانوا يستنجدون به، وقد كان يحب أن يبرز فروسيته ويكون سببا في حمايتهم، فكلَّما احتاجته قبيلته إلاّ وحمل أسلحته وخرج للقاء العدوِّ مبرزا شجاعته وإقدامه، فلم يكن يحب شيئا كما كان يحب القتال، فكان يستشفُّ بقتل أعدائه مثل النيران الّتي كلَّما أشعلتها طلبت المزيد، وقد ألف "**عنترة**" الحروب منذ طفولته مما سقى قلبه شجاعة وجعل منه فارسا مِقداما.

كان "**عنترة بن شدّاد**" يحب ابنة عمه "**عبلة**"، فكان يسعى إلى التفاخر أمامها بشجاعته حتّى يلفت نظرها إليه بقوله:

هَلاّ سَأَلْتِ الخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

[1]- **عنترة بن شدّاد، ديوانه، ص16.**

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِـدَ الوَقِيعَة بِأَنِّي أَغْشَى الوَغَى وَأَعْفُ عِنْدَ المَغْنَمِ

وَمُدَحَّجٍ كره الكـــــمَاَة نَزَالَهُ لَا مُمْعِنِ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِـــــمِ.[1]

فبلغت شجاعة "**عنترة**" لدرجة أنّه كان قد يُخيف أهل الحرب بشدة صوته، فيُظهر شجاعته أمام "**عبلة**" ويطلب منها أن تسأل الخيل ومن شهد نزاعه في الحروب ليؤكد قوله لها.

يصف "**عنترة**" نفسه ويعدَّد خصاله ضمن أبياته الشِّعرية فيقول:

إنِيِّ امرئ مِنِّي السَمَاحَةَ وَالنَدَى وَالبَأْسُ أَخْلَاقُ أَصَبْتُ لُبَابَهَا

وَأَنَا الرَّبِيعُ لِمَنْ يَحُلُ بِسَاحَتِي أَسَدُ إِذَا مَا الحَرْبُ أَبْدَتْ نَابَهَا

وَإِذَا لَقِيتُ كَتِيبَةٌ طَاعَنْتُهَا وَسَلَبْتُهَا يَومَ اللِقَاءِ عُقَابَهَا.[2]

"**فعنترة**" شاب متخلق يقف بجوار من هم بحاجة إليه خاصة قبيلته، فيشبِّه نفسه بالأسد في الشجاعة أثناء لقاء خصومه.

يفتخر "**عنترة**" بشجاعته في الحروب فينسب نفسه إليها قائلا:

دَعُونِي أُوفِي السَّيفَ فِي الحَرْبِ حَقَّهُ وَأَشْرَبُ مِنْ كَأْسِ المَنِيَةِ صَافِيَا

وَمَنْ قَالَ إِنِّي سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّـــــــدٍ فَسَيْفِي وَهَذَا الرُمْحُ عَمِّي وَخَالِيَا.[3]

يطالب "**عنترة**" بأن يحارب في الحرب كي يوَفِي للسَّيف حقَّه بحصد أرواح الأعداء ليعود فيما بعد ليرد على من يفتخر بنسب الأسياد، فيقول: أنا خير نسب منكم، فيعتبر سيفه ورمحه أهل له.

[1]- **أحمد محمد الحوفي، في صحبة الأدب القديم، ص57-58.**

[2]- **الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص34.**

[3]- **حمدو طّماس، ديوان عنترة بن شدّاد، ص192.**

2- الصبـر:

يعتبر "**عنترة**" هجين النسب فأمه "**زبيبة**"، قد كانت أَمَة عند أبيه "**شدّاد**"، مما جعله منحطا بين قومه لا يحظى بجميع حقوقه يقول:

وَأَصْبِرْ لِلحَبِيبِ وَإِنْ جَفَانِي وَلَمْ أَتْرُكْ هَوَاهُ وَلَسْتُ أَسْلُو

عَسَى الأَيَّامَ تَنْعَمُ لِي بِقُرْبِ وَبَعْدَ الهَجْرِ مُرَّ العَيْشِ يَحْلُو.[1]

فالشَّاعر ليس بيده حيلة لبعده عن حبيبته "**عبلة**" إلّا أن يتسلَّح بالصبر متأملا أن يأتي يوم ما وتتضاءل المسافات بينهما ويتغير حظهما إلى الأحسن .

تعرض الشَّاعر للظلم والمضايقات من قبيلته وأعدائه بسبب لون بشرته يقول:

وَأُظْهِرُ نُصْحَ قَوْمٍ ضَيَعُونِي وَإِنْ خَـــانَتْ قُلُوبُهُمْ الوِدَادَا

أُعَلِلُ بِالمُنَى قَلْبًا عَلِيلَا وَبالصَّبْرِ الجَمِيلِ وَإِنَ تَمَادَى

تُعَيرُنِي العُدَى بِسَوَادِ جِلْدِي وَبيضُ خَصَائِلِي تَمْحُو السَّوَادَ.[2]

يصبر الشَّاعر على معاملة أهله له وعلى ما يسمع من أقوال أعدائه صُخرية من سواد بشرته، غير أنَّه كان لا يبالي بهم، ويقول بأنَّ أخلاقه وفضائله الحميدة تُغطِّي على كل عيب لديه.

الصبر قيمة ينبغي على كل إنسان أن يتَّصف بها حتى يصل إلى مبتغاها يقول:

لَعُمْرُكَ إِنَّ المَجْدَ وَالفَخْرَ وَالعُلَا وَنَيْلُ الأَمَانِي وَارْتِفَاعِ المَرَاتِبِ

لِمَنْ يَلْتَقِي أَبْطَالَهَا وَسُرَاتَهَا بِقَلْبٍ صَبُورٍ عِنْدَ وَقْعِ المَضَارِبِ.[3]

[1]- سراج الدين محمد، موسوعة روائع الشّعر العربي "الغزل في الشّعر العربي"، ص13.

[2]- عنترة بن شدّاد، ديوانه، ص27.

[3]- حمدو طمّاس، ديوان عنترة بن شداد، ص77.

وهذا ما اتبعه "**عنترة**" فقد كان صبورا على أهله وصبورا في حروبه من شدَّة احتدامها، وصبره هذا هو ما جعله بطلا وسيِّدا من سادات قبيلته.

3- الحكـمة:

جـاء جـل شـعر "**عنتـرة**" في الشّـجاعة ولكـن هـذا لم يمنـع أن تتخلـل قصـائده بعـض الحكـم والأمثال كقوله:

فَالمَوتُ لَا يُنْجِيكَ مِنْ آَفَاتِه حِصْنٌ وَلَوْ شَيَدْتَهُ بِالجَنْدَلِ.[1]

يُنبِّه الشَّاعر من يظن أنَّه بعيد عن الموت وأجله، بأنَّه قد حصنها منه، وأنَّ الأجل لا مرد منه ولا مهرب.

تعدَّدت تجارب "**عنترة**" فيما يخص الظلم، فاستقى منها حكمة ضمَّنها في شعره قائلا:

حَكِّمْ سُيُوفَكَ فِي رِقَابِ العُدَّلِ وَإِذَا نَزَلْـتَ بِدَارِ الذُلِّ فَارْحَلِ

وَإِذَا بُليـــــــــتَ كُنْ ظَالِمًا وَإِذَا لَقِيتَ ذَوِي الجَهَالَةِ فَاجْهَلِ.[2]

ينهى الشَّاعر عن ظلم الآخرين من قتلٍ عشوائي، فيطلب من مخاطبيه أن لا يرفع سيفه إلاّ على من خرج عن طريق الحقّ وأن لا يرضى بظلم أحد، فإن كان ذلك فالرحيل خير سبيل وأن لا يظلم أحدًا إلاّ إذا سبقه هو بظلمه.

4- الكرم:

لم يكن "**عنترة**" كثير المال، ولكن رغم ذلك كان كريما على الآخرين بما ملكت يداه يقول في ذلك:

---

[1]- **عنترة بن شدّاد، ديوانه، ص77.**

[2]- **حمدو طمّاس، ديوان عنترة بن شدّاد، ص76.**

فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكُ مَالِي وَعِرْضِي وَافِرُ لَمْ يُكَلَمِ

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِر عَنْ نَدَى وكَمَا عَلِمَتَ شَمَائِلِي وَتَكَرُمِي.[1]

فما كان يلاقي محتاجًا أو جائعًا إلاّ وقد بذل كل ما بوسعه لمساعدته إن كان ذلك بقدر من المال أو بطعام أو حتّى بتلبيته لمستغيث استضعفه الظلماء.

يعود نسب "**عنترة بن شدّاد**" إلى قبيلة عُرفت بكرمها وجودها وهذا ما جاء به في مدحهم قائلا:

قَوْمِي صِمَامٌ لِمَنْ أَرَادُوا ضِيمَهُم وَالقَاهِرُونَ لِكُلِ أَغْلَبُ صَالِ

وَالمُطْعِمُونَ ومَا عَلَيْهِمْ نِعْمَةٌ وَالأَكْرَمُونَ أَبًا وَمُحْتَدٌ خَالِ

مِنَ المُعِينِ عَلَى النَدَى بِفِعَالِهِ وَالبَذْلِ مِنَ اللَّزَبَاتِ بِالأَمْوَالِ

نَأْتِي الصَرِيخَ عَلَى جِيَادٍ صّمَرٍ خِمْصُ البُطُونِ كَأَنَّهُنَ سُعَالِي.[2]

يفتخر بكرمه وكرم قومه، الّذين عُرفوا بنجدة الضعفاء، فلا يبخلون بنعمهم على أحد سواء أكان ذلك بإنفاق المال أو بإطعام المحتاجين.

5-العفة:

كان "**عنترة**" متعفِّفا في حياته خاصة فيما يخص النساء بقوله:

مَا اسْتَمَتُ أُنْثَى نَفْسَهَا فِي مَوْطِنٍ حتَى أُوفِي مَهْـــــرَهَا مَوْلَاهَا

أَغْشَى فَتَاةَ الّتِي حَلِيـــــــلُهَا وَإِذَا أُغْزَا فِي الحَرْبِ لَا أَغْشَاهَا

[1]- **أحمد محمد الحوفي، في صحبة الأدب القديم، ص65.**

[2]- **عنترة بن شدّاد، ديوانه، ص74.**

وَأَغُضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَى يُوَارِي جَارَتِي مَـــــــأْوَهَا

إِنِّي امْرُؤٌ سَمْحُ الخَلِيقَةِ مَاجِدٌ لَا أَتْبِعُ النَفْسَ اللّـــــجُوجَ هَوَاهَا.[1]

فلا يرضى أن تكون له علاقة مع امرأة إلاّ إذا كان قد سدَّد لها كافة مهرها، ومن كثرة تعفُّفه كان يخاف من ارتكاب هذه الخطيئة، فهو "**عنترة العبسي**" المغوار في الحروب ، فاتَّصف بحسن أخلاقه وتربيته.

إضافة إلى تعفُّفه من النساء كان لا يرضى بمذلة النَّفس وصدقة الآخرين بقوله:

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى طَوَى وَأَظَلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ.[2]

فلا يرضى بلقمة ذل ويصبر على جوعه حتّى ينال من الزاد ما كرم منه.

لم يكن "**عنترة**" يستحي من لون بشرته بل كان يفتخر بذلك في قوله:

لَئِنْ أَكُ أَسْوَدًا فَالمِسْكُ لَوْنِي وَمَا لِسَوَادِ جِلْدِي مِنْ دَوَاءِ

وَلَكِنْ تَبْعُدُ الفَحْشَاءُ عَنِّي كَبُعْدِ الأَرْضِ عَنْ جَوِّ السَّمَاءِ.[3]

فيشبِّه لون بشرته بأجود أنواع المِسك وهو اللَّون الأسود، ويعترف بأن لون بشرته لا دواء لها ولكنَّه يفتخر في نفس الوقت بطيب أخلاقه وبعده عن الفحشاء.

[1]- **أحمد محمد الحوفي، في صحبة الأدب القديم، ص63.**

2- **المرجع نفسه ، ص63.**

3- **عنترة بن شداد، ديوانه، ص08.**

خـــاتمة

خـــاتمة

كل ما تعرضنا إليه سابقا كان محاولة منا لاطلاع على القيم الإنسانية الّتي وجدنا أنَّها غُرست في قلوب الجاهليين فاتخذوها مسارا لا يَحيدون عنه ضمن حياتهم اليومية، بل وتنافسوا وتسابقوا إليها فكان كل فرد من أفراد القبيلة يسعى على أن يكون أفضل من غيره في كرمه وشهامته ووقوفه ضدَّ الجور والظُّلم، ومما استخلصناه:

أنَّ العرب في الجاهلية قد عاشوا ضمن طبيعة قاسية قائمة على التَّنقل والتِّرحال طلبا لحياة هنيئة، وأنَّ هذه الظروف لم تقف عائقا أمام تلك القيم.

تحدَّثت الأشعار الجاهلية على القيم الانسانية والخلقية الّتي تميز بها الإنسان الجاهلي وتعددت على اختلافها، فكان منها الكرم والّذي ذُكر بشكل موسع في أشعارهم باعتباره صفة اتصف بها الكثير من عرب الجاهلية إن لم نقل جُلهم، وهذا ما رأيناه مع "حاتم الطائي" الّذي كان يكلِّف نفسه فوق طاقته أحيانا فقط لإرضاء ضُيوفه، وكذا الصِّدق في القول، فالعرب كانت إذا قالت قولا تُكلِّله بالفعل والكلمة عندهم هي دليل صدق في حدِّ ذاتها، فلا يقول أحدهم قولا إلَّا وقد صدُق فيه، ومما لُوحظ عنهم أيضا هو تلك الشّجاعة والإقدام الَّتي وضعها الجاهليون هدفا نصب أعينهم فقد كانوا يعلمون أولادهم منذ الصِّغر على كيفية استخدام الأسلحة الحربية وتعليمهم معنى الشجاعة ومكانتها ولعلَّ ذلك كان مما اقتضته طبيعة حياتهم القائمة على الغارات والحروب، فوصلت بهم إلى التَّضحية بأرواحهم في سبيل الحفاظ على شرفهم وكرامتهم، فلم ترضَ العرب بالظلم وحارب الجاهلي فيها في سبيل الحياة الكريمة وقد كان "عنترة بن شدَّاد" مثال للشجاعة والإقدام وذلك بعدما أثبت مكانته بين قومه، فكانت شجاعته سببا في نقله من حياة العبودية إلى إلى أحد أسيّاد القبيلة. فدافع عن قومه ونافح عنهم رغم ما لقيه من ظلم واستهزاء من طرفهم، ولعلَّ ذلك يحيلنا إلى خصلة أخرى من خصال الجاهلية وهي التَّعاون حيث كان أفراد القبيلة يتضامنون مع بعضهم البعض اتجاه مصاعب الحياة كمساندة الجماعة للفَّرد والعكس ومنه شكَّل المجتمع الجاهلي لُحمة وترابط فيما بينهم، والصّبر على نقص الأموال والطعام، والصبر على بعد المحبوبة، فكانت صفة مغروسة في قلب كل عربي جاهلي. ومما كان للعرب أيضا هو خصلة الوفاء

كالوفاء اتجاه صديق مَا أو اتجاه القبيلةٍ أو الوفاء بالعهد فكثر الحديث عنه في أشعارهم وضربت به الأمثال كقولهم "أوفى من السموأل"، أمَّا عن التواضع فقد وجدناه حتىَّ عند أسيادها وأشرافها الذين كانوا يتِّصفون بهذه الصفة، فكانوا يحسنون معاملتهم لمن هم أقل شأنا منهم.

وقد كانت هذه الصفات من بين أهم القيم الّتي اتسم بها العرب قبل الإسلام ورَأيُنا هذا قد جاء مستندا إلى أشعار شعرائهم خاصة من تضمّنهم بحثنا أمثال: الشّنفرى، حاتم الطائي، زهير بن أبي سلمى، عنترة بن شدّاد، والّتي أثبتت على أنَّ العصر الجاهلي قد جمل في خِضمِّه عرب اتسموا بالإنسانية الحقَّة وسعوا إلى بناء عالم مبني على العدل والمساواة تكون قاعدته الأساس مبنية على الحُب والخير والتعاون. ونحن لا نجزم بأنَّ هذه القيم هي كل ما جاء به الجاهليون وإنَّما هذا ما اقتصرت عليه الأشعار الّتي جئنا بها وربما غيرها الكثير، ومن هذا المطاف ندعوا زملاءنا الطلبة وكذا الباحثين المحبين لعالم اللغة العربية وخباياها خاصة الأشعار العربية منها إلى :

*الإطلاع على الشّعر بصفة عامة باعتباره مادة خصبة قابلة للدراسة والبحث.

*الإحاطة بجزئيات جديدة قد يكون بحثنا والبحوث الَّتي سبقتنا إلى هذا الموضوع أغفلتها وبذلك تصبح نقطة انطلاق جديدة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

أولا: المصادر.

1. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب بمصر،ج14، طبعة خاصة تصدرها دار الشعب.
2. الأصمعي، تح: سعدى مناوي، شرح الأصمعيات، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان– ط1، 1424هـ–2004م.
3. حاتم الطائي، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، 1394هـ–1974م.
4. الخطيب التبرزي، ديوان عنترة، دار الكناب العربي–لبنان–قدم له مجيد طراد 2012م.
5. زهير، ديوانه، شرح وقدم له علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان–ط1، 1408هـ–1988م.
6. محمد حسن أبو ناجي، الشنفرى: شاعر الصحراء الأدبي، عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
7. المفضل الضبي، المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر+ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، بيروت–لبنان–، ط07.

ثانيا: المراجع:

1. إبراهيم شمس الدين، قصص العرب: موسوعة تراثية جامعة لقصص ونوادر وطرائف العرب في العصر الجاهلي والإسلامي، ج1، دار الكتب إسلامي العلمية،ط9، 1423هـ–2002م..
2. أبو اسماعيل ابن القاسم القالي البغدادي، الأمالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.
3. أبو العباس ثعلب، شرح ديوان الخنساء، شر: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان–، 1429هـ– 2008م.
4. أبو فهم محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر–القاهرة–.
5. أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 2009م،
6. أحمد الحوفي، في صحبة الأدب القديم، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، ط1، يناير2006م.
7. أحمد الفاضل، تاريخ وعصور الأدب العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط01، 2003م.

8. أحمد النعيمي، الأفاق الإنسانية في الأدب والفكر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، 2008م .
9. أحمد أمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ-2005م.
10. أحمد أمين، الأخلاق، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1431هـ، ط03.
11. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، ط14.
12. أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار القلم العربي بحلب، 1419هـ-1998م.
13. أحمد عوين، من قضايا الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، 2002م، ص198. .
14. الإمام أبي عباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، مطبقة دار الكتب المصرية، 1363هـ/1944م.
15. إميل ناصيف، أروع ما قيل في المدح، دار الجيل، بيروت، ط1.
16. بدوي طبانة، معلقات العرب، دراسة تقديمية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي، عاصمة الثقافة العربية، 2007م .
17. بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار النظير عبدود، بيروت، ط 1989م.
18. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، دار الهلال.
19. جودة بني جابر، علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط01، 1425هـ-2004م.
20. حاتم، ديوان حاتم الطائي، شر: صالح يحي بن مدرك الطائي، قدم له حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م.
21. حافظ بن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، تح: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للنشر والتوزيع.
22. حربى عباس عطيتو، الفلسفة: قضاياها ومشكلاتها، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط01، 2008م.
23. حسان هشام، مدخل إلى علم الإجتماع التربوي، ط01، 2008م.

24. حسن جعفر نور الدين+ رشاد برس، موسوعة الشعراء الصعاليك: الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث،ج2، 1468هـ-2008م.
25. حسني عبد الجليل، الأدب الجاهلي: قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ-2001م.
26. حسني عبد الجليل، النفس في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، 2009م.
27. حسين عطوان، بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، ط1، 1413هـ-1993م.
28. حمدي محمود منصور، دراسات في الشعر الجاهلي والإسلامي، دار الفكر.
29. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
30. حنا نصر الحتي، الناقة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-، ط01، 2007م.
31. حنا نصر الحتي، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان-، 1428هـ-2007م.
32. الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان- 2012م.
33. خليل أحمد خليل، السارترية تهافت الأخلاق والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط02، 1402هـ-1982م.
34. رمضان الصباغ، الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، 1998م، ص49.
35. رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي، مكتبة الأداب علي حسن، ط1، 1429هـ-2008م.
36. زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل بيروت، ط01، 1408هـ-1988م.
37. زوبير دراقي، المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر- 1994م.
38. سامي مكي العاني، مكانة الشعر قبل الإسلام، عالم المعرفة..
39. سامي يوسف أبو زيد+منذر ذيب كفافي، الأدب الجاهلي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1431،1هـ-2011م .

40. سراج الدين محمد، موسوعة روائع الشعر العربي "الغزل في الشعر العربي.
41. سراج الدِّين محمد، موسوعة روائع الشعر العربي"الفخر في الشعر الجاهلي "، دار الراتب الجامعية.
42. سعيد اسماعيل علي، الإسلام والغرب تعايش أم صراع؟ دار الفكر العربي، ط1، 1429هـ-2008.
43. سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي، "عصر الطوائف والمرابطين"، دار الأفاق العربية، ط1، 1428هـ-2007م.
44. سهام محمد صالح الجراري، الفن والعلم: دراسة تحليلة مقارنة لإيضاح العلاقة بين القيمة الجمالية والقيمة العلمية، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2008م.
45. شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي الجاهلي، دار المعارف، ط24.
46. شوقي ضيف، البطولة في الشعر الجاهلي، دار المعارف، ط2.
47. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهره، ط1 .
48. صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع.
49. طلعت فهمي الخفاجي، مصادر اللغة والأدب، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ط01، 2005م.
50. طه أحمد الزيدي، المسؤولية الأخلاقية في الإعلام الإسلامي، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434هـ-2013م.
51. عبد الحليم الحنفي، شرح ودراسة لامية العرب للنشنفرى، مكتبة الأداب، ط1، 1429هـ-1-2008م.
52. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج:02، دار القلم، دمشق، طبعة 05، 1420هـ-1999م.
53. عبد العزيز محمد، القيم الفلسفية الكبرى: الحق، الخير، الجمال، المؤسسة الثقافية الجامعية، 2008م.
54. عبد الفتاح محمد حسين الدراويش، جواهر الشعر العربي "موسوعة شعرية لجميع المناسبات"، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 2007م.

55. عبد الكريم هلال خالد، أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة، منشورات جامعة قازيونس بنعازي-ليبيا- ط1، 2008م.

56. عبد الله قلي، "اللغة العربية وآدابها"، السنة الرابعة، الكتاب الثاني، جامعة التكوين المتواصل والمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة.

57. عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار المسيرة، ط01، 1424هـ-2003م.

58. علي شناوة، النقد الفني والتنظير الجمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1432هـ-2011م.

59. عنترة بن شداد، ديوانه، شر: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت-لبنان-ط1، 1425هـ-2004م.

60. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971م.

61. محمد المعراجي+ عمر المعراجي، الفتى المسلم، ج1، ط2، الجزائر، 1952م-1954م.

62. محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ج: 01، دار القومية للطباعة والنشر .

63. محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الجلي، ط1، 1324هـ-1906م.

64. محمد عزيز نظمي سالم، القيمة الجمالية والالتزام، ج:02، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية.

65. مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط7، 2008م.

66. مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الفنية الحديثة، مصر الجديدة في 10 فيبراير 1968م.

67. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط01، 1956م.

68. نجوى صابر، النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان-، ط01، 1410هـ-1999م.

69. نصير فريد محمد واصل، أداب العلاقات الإنسانية في الإسلام، المكتبة التوفيقية.
70. نوال مصطفى ابراهيم، الليل في الشعر الجاهلي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة 2009م.
71. يحي الشامي، زهير بن أبي سلمى "الشاعر الحكيم"، دار الفكر العربي، بيروت.
72. يحي الجبوري، الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط05، 1407هـ-1986م. .
73. يحي بن مدرك الطائي، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، رواية: هشام بن محمد الكلبي، تح: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.
74. يعقوب المليجي، الأخلاق في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1405هـ-1985م.
75. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، دط، دت.
76. يوسف عطا الطريفي، العصر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

ثالثا: المجلات.

1. مجلة العلوم الإنسانية، العدد الأول، نوفمبر 2001، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر.
2.مجلة إقرأ تصدر كل شهر، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة.

قائمة

الفهارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيا: فهرس الأبيات الشعرية.

ثالثا: فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية:

الآية	السورة	الآية	الصفحة
﴿قَالُو أَتَتَخِذُنَا هُزوًا...مِنَ الجَاهِلِينَ.﴾	البقرة	67	02
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ...قَالُوا سَلَامًا.﴾	الفرقان	63	02
﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالعُزَّى وَمَنَاَة الثَالِثَة الأُخْرَى.﴾	النجم	21-20	05
﴿وَأَنَّهُ لَمَا قَامَ عبْدُ اللهِ يَدْعُوه.﴾	الجن	19	18
﴿وَذَلكَ دِينُ القَيِّمَةَ.﴾	البينة	05	18
﴿رَسُولٌ مِنَ الله يَتْلُو صُحُفًا...قَيِّمَة.﴾	البينة	03	18
﴿إِذَا جَاءَكَ المَنَافِقُونَ...واللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المَنَافِقُونَ لَكَاذِبُونَ.﴾	المنافقون	01	61
﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُ ...إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا.﴾	الإسراء	81	41
﴿وَذْكُرْ فِي الكِتَابِ...إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًا.﴾	مريم	41	41
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى...أَتْقَاكُمْ.﴾	الحجرات	13	46
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ..شَدِيدُ العِقَابِ.﴾	المائدة	02	46
﴿وَالعَصْرَ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ...وَتَوَاصَوا بِالصَبْرِ.﴾	العصر	03	48
﴿وَبَشِرْ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ...وَأُلَئِكَ هُمْ المهْتَدُون.﴾	البقرة	157	48

﴿وَأُوفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولَا.﴾	التوبة	111	51
﴿وَلَا تَمْشِي فِي الأَرْضِ مَرَحًا...وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولَا.﴾	الإسراء	37	53
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي...سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ.﴾	غافر	20	53

فهرس الأبيات الشعرية:

البيت	الشاعر	الروي	الصفحة
قَلِيلُ غِرَارُ النَّومِ أَكْبَرُ هَمِهِ	تأبط شر	العين	04
فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ	امرؤ القيس	اللام	10
أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَا سُورَةً	النابغة	الباء	11
بَنِي ثَعْلُ أَهْلُ الخَنَا مَا حَدِيثُكُمْ	بحتر بن عتود	القاف	11
وَلَهُ عَسِيبٌ ذُو سَبِيبٍ سَابِغ	عنترة بن شداد	اللام	12
يُؤرِقُنِي التَذَكُّرُ حِينَ أُمْسِي	الخنساء	السين	12
وَطَارِقُ لَيْلٍ كُنْتَ حَمَّ مَبِيتِه	بن ضمرة النهشلي	الدال	35
لَنِعْمَ الفَتَى إِلَى ضَوءِ نارِهِ	طريف بن مالك	الراء	35
لِحَافِي لِحَافُ الضَيْفِ وَالبَيْتُ بَيْتُهُ	الطفيل الغنوي	العين	36
لَيْسَ العَطَاءُ مِنَ الفُضُولِ سَمَاحَةٌ	المقنع الكندي	اللام	36
وَقَائِلَةٌ أَهْلَكْتَ فِي الجُودِ مَالَنَا	حاتم الطائي	الألف	37
صَفَوْنَا وفلَم نَكْدِرْ وَأَخْلَصَ سِرُنَا	السموأل	اللام	37
إِنَّكَ لَنْ تَنَالَ المَجْدَ حَتَى	عمرو بن الأهثم	الراء	38
مُعْرَبَةٌ أُجَلِلُهَا رِدَائِي	أبو سراج الضبي	الألف	38
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَيَا لَيْتَ أَهْلَكْتُ إِرَمًا	عدي بن أمية	النون	39
وَلَا خَيْرَ فِيمَا يُكَذِبُ المَرْءُ نَفْسَهُ	أفنون التغليبي	الياء	42
وَمِنَ اللَيَالِي لَيْلَةٌ مَزْؤَدَةٌ	الأسعر الجعفي	الألف المقصورة	44
فَصَبَّرْنَ النُفُوسَ لِلطَعْنِ حَتَى	عدي بن رعلاء الغساني	الهمزة –ء–	44
إِنَا لَنَرْخَصُ يَوْمَ الرَوْعِ أَنْفُسَنَا	المرقش الأكبر	الألف – ا–	45
بَكِرْتُ تُخَوِفُنِي الحُتُوفُ كَأَنَّنِي	عنترة بن شداد	اللام	45
وَهَلْ أَنَا إِلّا مِنْ غُزَيَةٍ إِنْ غَوَتْ	دريد بن الصمة	الدال	47

وَتَشْكِي النَفْسَ مَا أَصَابَ بِهَا	طرفة بن العبد	الراء	49
صَبِّرْ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِ مُلِمٍ	عبيد بن الأبرص	اللام	49
وَإِمَا أَنْ يَقُولُوا: وَقَدْ وَفَيْنَا	زهير بن أبي سلمى	الهمزة -ء-	51
أَوْ صَالِحُوا فَلَهُ أَمْنٌ وَمُنْتَفَذُ	زهير بن أبي سلمى	اللام	52
وَمَنْ يُوفِ لَا يُذْمَمْ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبَهُ	زهير بن أبي سلمى	الميم	52
أُسَوِدُ ذَا الفِعَالِ وَلَا أُبَالِي	عنترة بن شدّاد	التاء	54
وَكُلُّ أَبِي بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي	الشّنفرى	اللام	60
مُصَعْلَكَةٌ لَا يَقْصُرُ السِتْرُ دُونَهَا	الشّنفرى	التاء	63
أَنَا السَّمْعُ الأَذَلُ فَلَا أُبَالِي	الشّنفرى	الباء	67
قَوْمٌ إِذَا الشَّرُ أَبْدَى نَاجِدَيْهْ لَهُمْ	الشّنفرى	النون	69
أَمَّا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرَهُ	حاتم الطائي	الميم	71
وَعَاذِلَةٍ هَبَتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي	حاتم الطائي	الدال	72
وَقَائِلَةٍ أَهْلَكْتَ بِالجُودِ مَالَنَا	حاتم الطائي	الهاء	72
أَمَاوِي قَدْ طَالَ التَجَنُّبُ وَالهَجْرُ	حاتم الطائي	الراء	73
إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ	حاتم الطائي	الفاء	74
لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرَّتْ كِلَابُهُمْ	حاتم الطائي	التاء	74
رَأَتْنِي كَأَشْلَاءِ اللِّجَامِ وَلَنْ تَرَى	حاتم الطائي	الألف – ا-	75
وَخِرْقٍ كَنَصْلِ السَّيْفِ قَدْ رَامَ مِصدَقَ	حاتم الطائي	الدال	76
فَأَصْدُقْ حَدِيثَكَ، إِنَّ المرْءَ يَتْبَعُهُ	حاتم الطائي	اللام	77
إِذَا كُنْتَ رَبَا لِلْقَلُوصِ فَلَا تَدَعْ	حاتم الطائي	الباء	78
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَرَى النَّاسُ مَا أَرَى	زهير بن أبي سلمى	الياء	81
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيفَةٍ	زهير بن أبي سلمى	الميم	80
أَغَرُّ أَبْيَضُ فَيَاضُ يُفَكِكُ عَنْ	زهير بن أبي سلمى	القاف	83
وَأَبْيَضٌ فَيَاضٌ يَدَاهُ غَمَامَةٌ	زهير بن أبي سلمى	اللام	83
وَمُدْرِهِ حَرْبٍ حَمِيَّةَ تُبْقَى بِهِ	زهير بن أبي سلمى	الدال	84

أَنَا الهَجِينُ عَنْتَرَةُ	عنترة بن شدّاد	الهاء	87
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُ	عنترة بن شدّاد	الميم	88
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْرُ الأَعَادِي	عنترة بن شدّاد	التاء	88
وَأُظْهِرْ نُصْحَ قَوْمٍ ضَيَعُونِي	عنترة بن شدّاد	الدال	91
لَعُمْرُكَ إِنَّ المَجْدَ وَالفَخْرَ وَالعُلَا	عنترة بن شدّاد	الباء	91
فَالْمَوتُ لَا يُنْجِيكَ مِنْ آفَاتِهِ	عنترة بن شدّاد	اللام	91
لَئِنْ أَكُ أَسْوَدًا فَالْمِسْكُ لَوْنِي	عنترة بن شدّاد	الهمزة	94

فهرس الموضوعات:

شكر	
مقدمة.....	أ–د
مدخل: لمحة عن العصر الجاهلي	
نبذة عن الشعر الجاهلي.....	02
طبيعة الشعر الجاهلي.....	05
بيئات وخصائص الشعر الجاهلي.....	07
موضوعات الشعر الجاهلي.....	10
مصادر الشعر الجاهلي.....	13
أشهر شعراء الجاهلية.....	16
الفصل الأول: القيمة مفاهيم وآراء	
مفهوم القيمة وأهم ما جاء حولها.....	18
تصنيف القيم.....	21
سلّم تدرّج القيم.....	23
طبيعة القيم.....	24
وظائف القيم.....	25
علاقة الإنسان بالقيمة.....	26
علاقة القيم بالعلم.....	27
علاقة القيمة بالفلسفة.....	28

وجهات نظر بعض الفلاسفة للقيمة.....	30
القيم الفلسفية الكبرى.....	31
مفهوم الإنسانية	32
أبرز قيم الجاهلية.....	34
الفصل الثاني: تمظهرا القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي	
أولا: الشنفرى.....	58
ثانيا: حاتم الطائي.....	70
ثالثا: زهير بن أبي سلمى.....	80
رابعا: عنترة بن شـدَّاد.....	86
خاتمة.....	97
قائمة المصادر والمراجع.....	100